من أسْرار النَّظْمِ القرآني

في سُورةِ المرْسَلَات

دراسة تحليلية

إعداد

د / محمد بن علي بن ذريع

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

من أسْرار النَّظْمِ القرآني في سُورةِ المرْسَلَات دراسة تحليلية

إعداد

د / محمد بن علي بن درع

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد

الملخص

تناولتُ هذه الدراسة للنص القرآني في سورة المرسلات على المنهج التحليلي، الذي يقوم على دراسة السورة، واستنباط خصائص النظم القرآني فيها ، وتحليلها تحليلًا بلاغيًا يكشف عن أسراره ، ويربطها بالسياق والغرض العام، فكانت الدراسة موزعة على أربعة مباحث ينبني كل مبحث على السابق له؛ متصلة في عرضها تسبقها مقدمة وتمهيد، وتتلوها خاتمة، يليها ثبت لفهرسي المصادر والمراجع، والمحتوى، وكانت في عرضها على النحو الآتي:

كشفت المقدمة النقاب عن أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، وأهدافه ، ومنهجه وخطته . ويلقي التمهيد الضوء على السورة من حيث: (مكيتها ، وآياتها ، وتاريخ نزولها ، وفضلها ، وتسميتها ، ومناسبة السورة لما قبلها ، ومناسبة السورة لما بعدها ، وموضوعها ، ومنهجها في عرض مقاصدها ومعانيها) .

ثم جاءت الدراسة التحليلية في أربعة مباحث ، يختص المبحث الأول : بمطلع السورة ، ويدور المبحث الثاني : حول الانقلاب الكوني السماوي والأرضي ، ويتحدث المبحث الثالث : عن دلائل قدرة الله الباهرة ، ويبيّن المبحث الرابع: مآل المجرمين وما أعدّ لهم ، ومآل المتقين وما أعده الله لهم.

وأنهيت البحث بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي تمخض عنها البحث ، وألحقت بها فهرسي المصادر والمراجع ، والمحتوى ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

One of the secrets of the Quranic systems in Surat Al-Mursalat an analytical study

prepared by
Dr. Mohammed bin Ali bin Deraa
Assistant Professor, Arabic Department, Faculty of Humanities -King Khalid University
Dera.m1388@gmail.com

Abstract

I dealt with this study of the Quranic text in Al-Mursalat on the analytical method Which is based on the study of the Sura, and devise the characteristics of the Quranic systems, and analysis rhetorical analysis reveals its secrets, and link them to the context and the general purpose, the study was divided into four chapters based on each chapter on the former; connected in its presentation preceded by the introduction and preparation, followed by a conclusion, followed by proven wrap C. Sources and references, content, and was displayed as follows:

revealed the introduction revealed the importance of research, the reasons for his choice, and its objectives, and his approach and his plan. The preface sheds light on the Sura in terms of: (Maketha, verses, and date of descent, and preferred, and name, and the occasion of the sura before, and the occasion of the sura beyond, and its subject, and methodology in the presentation of its purposes and meanings) .

Then came the analytical study in four topics, the first topic: the early sura, and the second topic: on the cosmic celestial and earthly, and the third section: on the signs of God's brilliant power, and the fourth section shows: the fate of criminals and what was prepared for them, and the fate of the righteous and what God has prepared for them .

The research ended with a conclusion summarizing the most important results of the research, and appended to the indexes sources and references, and content, and God conciliator and guide to both way.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على رسولنا ونبينا محمد ، وبعد :

القرآن الكريم كلام ربي، مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، ظل بسحره وعذوبته ، وأحكامه وشريعته ، وبنائه وعباراته ، معجزة بيانية خالدة ، باقية على صفحات الدهر.

ولذلك كان على مرّ العصور محط أنظار المسلمين ، وموطن عنايتهم واهتمامهم ، فقامت حوله المؤلفات المتعددة ، والمصنفات المتنوعة ، وبذل البلاغيون وعلماء الإعجاز جهودًا في تفسير سرّ الإعجاز البلاغي والكشف عن وجهه، وبيان مظاهره في القرآن ؛ فأرجعه جمهورهم إلى نظمه البديع ، وتأليفه العجيب.

هذا وقد اتجهت الدراسات القرآنية البلاغية المعاصرة اتجاهات متعددة في بحث الإعجاز البلاغي في القرآن، من أبرزها :

١- ما تناول عنصرًامن عناصر النظم القرآني كالمفردات.

٢- ومنها ما تناول ظاهرة من ظواهره وخاصية من خصائصه كالتقديم والتأخير ، أو القصر ، أو الفصل والوصل ، أو الالتفات .

٣- ومنها ما اهتم بدراسة النظم في سورة من سوره ، وهذا الاتجاه – أعني الدراسة البلاغية للسورة – من حيث هي نص معجز مكتمل البناء له موضوعه ووحدته وخصائصه يتميز بالشمول ، وينفرد بوجوه الإعجاز البلاغي ، كعلاقة المطالع بالمقاصد

، وتناسب فواتح السور مع خواتيمها ، وارتباط معاني السورة بموضوعها وغرضها العام ، ولهذا كان التحدي بسوره ؛ لأن من جملة وجوه الإعجاز – كما يقول العلماء – أمورًا لا تظهر خصائصها إلا بالنظر إلى كلام مستوفٍ في غرض من الأغراض؛ لذلك آثرت هذا الاتجاه وعليه فقد وقع اختياري على موضوع **{ من أسرار النظم القرآني في سورة المرسلات – دراسة تحليلية }** ، فأردت معايشة هذه السورة المكية بالبحث عن أسرارها البيانية ، والكشف عن أوجه من وجوه إعجازها البلاغية ، وتحليل آياتها تحليلًا يبرز أسرارها، ويجلي عن جمالها، ويرشد إلى ما تميزت به من الوضوح وحسن التصوير، وانتقاء الألفاظ، وإتقان الأسلوب وإحكامه ، وجودة سبكه ، وقوة تأثيره ، مع دراسة لنظمها وبيانٍ لعظيم مدى الترابط والمناسبة بين آياتها ومقاصدها .

أهمية البحث :

- تكمن أهمية البحث في أنه يدرس بلاغة القرآن الكريم ، وإعجازه في سورة من سوره من زاوية مهمة وهي بلاغة النظم ، وهذا هو مناط الإعجاز .
- هذا الاتجاه يمثل البلاغة التحليلية في أعلى صورها ؛ إذ تتسع النظرة ؛ لتشمل النص كاملًا ، فتبرز خصائص الدلالة ، ومحاسن الصياغة ، وتتلمس قيمه الجمالية وآفاقه المعنوية .
- يتميز هذا الموضوع بالربط الكامل بين الدراسة البلاغية والدراسة النحوية ، وحاجة كل منهما للآخر ، ولا سيما في دراسة التراكيب وخصائصها ، ومسألة النظم القرآني .

وجاء أسباب اختيار سورة المرسلات ؛ لتكون مجالًا للتأمل في أسرار نظمها، وروائع بلاغتها انطلاقًا من أسباب عدّة ، أهمها :

١- استشراف آفاق البلاغة القرآنية المعجزة ووجوهها العظيمة ، وتطبيقٌ عمليٌ لما يمكن أن يُقَدَّمَ من شواهد رفيعة على مطابقة الكلام لمقتضى الحال من كتاب الله العظيم .

٢- الرغبة في ربط البلاغة العربية بمعينها الأول (كلام الله ،) فهو أولى الكلام بأن تُستقى منه الشواهد والأدلة على مباحث البلاغة وألوانها ؛ فالأسلوب القرآني هو قطب رحى البلاغة وعمودها .

٣- إيماني بمنهج الإمام عبد القاهر في الدرس البلاغي في ردّ إعجاز القرآن إلى نظمه البديع، وتأليفه العجيب؛ وهذا مما دفعني إلى تلمس بلاغة النظم القرآني وأسراره في هذه السورة الكريمة.

٤- ولأن هذه السورة لم تحظ – فيما أعلم – بدراسة بلاغية تحليلية منهجية مستقلة تكشف عن خصائص نظمها ، وجوانب إعجازها ، وأسرار بلاغتها .

٥- كما أنه من الأهمية بمكان أن يفرد لكل سورة من سور القرآن بحث بلاغي مستقل يبسط القول فيه ؛ لذا كان هذا البحث حلقة في سلسلة من البحوث السابقة في هذا السياق .

٦- الحاجة الماسة لتدبر آيات الخوف والفزع من أهوال اليوم الآخر في زمن ضعف الإيمان والبعد عن خشية الله تعالى ، ومنها آيات سورة المرسلات ، فالوقوف عندها والتنقيب عن مناجم عظمة بلاغتها وإعجازها يجدد في النفس روح الإيمان ومشاعر الخشية من الله تعالى ، والخوف من أليم عذابه لتأمن من الفزع الأكبر .

خطة البحث :

قسمت هذا البحث إلى مباحث أربعة يسبقها مقدمة وتمهيد ويتلوها خاتمة وفهرسا المصادر والمراجع والمحتوى ، تتحدث المقدمة عن أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، وخطته ومنهجه .

التمهيد : عبارة عن مدخل إلى السورة ، وذلك بإلقاء بعض الضوء على : (آياتها، ومكيتها ، وتاريخ نزولها، وترتيبها في النزول، وفي المصحف، وفضلها، وتسميتها، ومناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة السورة لما بعدها ، وموضوع السورة ، ومنهجها في عرض معانيها ومقاصدها) .

وأما المباحث الأربعة ، فقد وجدت السورة عند التأمل في بنائها مكونة من مطلع ومقاصد عشرة، وخاتمة، فجعلتها في أربعة مباحث ، يمكن دراستها

دراسة تحليلية، وبينت فيها الخصائص البلاغية لمفرداتها وتراكيبها ، وقد جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: دراسة المطلع ، وقد تضمن الإقسام بأنواع الملائكة المكلفين بتدبير شؤون الكون على أن القيامة حق ، وأن العذاب والهلاك واقع على الكافرين . وتناولته بالدراسة التحليلية من الآية الأولى وحتى نهاية الآية السابعة .

المبحث الثاني : الانقلاب الكوني الأرضي والسماوي ، وما يصاحبه من أحوال وحوادث تقع من أول يوم القيامة إلى ساعة الحساب وفصل القضاء ، وهذا المقصد يبدأ من الآية الثامنة وحتى نهاية الآية الخامسة عشرة .

والمبحث الثالث : دلائل قدرة الله الباهرة ، ونعمه على الإنسان ، وبيان مآله ، ويبدأ هذا المقصد من الآية السادسة عشرة وحتى نهاية الآية الثامنة والعشرين .

وتحدث المبحث الرابع: عن مآل المجرمين في الآخرة ، وما أعده الله لهم من نكال وعقاب ، وعن مآل المتقين وما أنعم الله عليهم في الآخرة من فضل وإكرام وإحسان.

وختمت البحث بالخاتمة: ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج يليها ثبت المصادر والمراجع والفهرس.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يعتمد على المنهج البياني القائم على تحليل الآية أو الآيات – موضوع الدراسة – تحليلا بلاغيًا يكشف عن مطابقتها لمقتضى

المقام ، ويُجلّي المزايا البيانية التي تكمن وراء ألفاظ آيات كل مقطع وتراكيبها وعباراتها، ويبرز كيف تآزرت الألفاظ والتراكيب في تحقيق غايات القرآن ومقاصده في ضوء نظرية النظم ، والتي تنظر لقواعد البلاغة من (معانٍ، وبيان، وبديعٍ) نظرة تكاملية من خلال تجاورها في كلام مؤلف منظوم ، مع جمع أقوال المفسرين حولها ، ولا سيما ذوو النزعة البلاغية ممّن أَوْلَوُا الألفاظ والتراكيب عنايتهم ، كما رجعت إلى كتب متشابه النظم القرآني لإلقاء مزيد من الضوء على الآيات المدروسة ، مع الإفادة من كتب البلاغة للوقوف على ما قد يكون ورد فيها من أقوال حول الآيات المدروسة وهو قليل جدًّا .

وختامًا : فلست أزعم أنني استقصيت هذا الموضوع غايته ، فتلك غاية لا يدركها أمثالي ، ولا أدّعي أنني قلت كل ما يجب أن يقال فيه، فليس ثمة كلمة أخيرة في أي بحث، وبخاصة إذا كان هذا البحث في كتاب الله ، وحسبي أنني قد بذلت غاية جهدي وطاقتي ووسعي، وأخلصت نيتي، وأنفقت فيه وقتًا عزيزًا وسلخت فيه من عمري مدة لا أحسبها هينة في استنباط ما يثري المعنى ويتواءم مع السياق من القيم التعبيرية والبلاغية في هذه السورة الكريمة ، فإن أصبت فبفضل الله تعالى وتوفيقه ، وإن كانت الأخرى فحسبي بشريتي العاجزة الضعيفة، ولي أمل ألا يفوتني أحد الأجرين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

* * *

التمهيد

بين يدي السورة

أولًا : مكيتها وآياتها وتاريخ نزولها :

سورة المرسلات سورة حادة الملامح، عنيفة المشاهد، شديدة الإيقاع، كأنها سياط لاذعة من نار ، وهي مكية بالإجماع ([1])، إلا أن بعض المفسرين كابن عباس ومقاتل وقتادة يستثنون الآية الثامنة والأربعين فيجعلونها مدنية، وهي قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾([2]) ، وقولهم هذا مبني على القول بأنها حكاية عن حال المنافقين في القيامة ، وأنها بمعنى قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القلم].

---

[1])) ينظر: دلائل النبوة. لأبي بكر أحمد بين الحسين البيهقي ، تح: د. عبد المعطي قلعجي : ٧/ ١٤٢، ط / ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م ، وينظر : البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد الزركشي. تح: زكي محمد أبو سريع: ١/ ٢٨٨ ، ط / ١، دار الحضارة ، الرياض ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م ، والإتقان في علوم القرآن. لجلال الدين السيوطي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١/ ٢٤، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

[2])) ينظر: البحر المحيط . لأبي حيان ، تح : عادل أحمد وآخرون، ٨/ ٣٩٥، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي مج ١٠/ ١٥ / ١٨٧، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. لمحمد بن علي الشوكاني، ٤/ ٤٠٦، ط/ ٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

قال ابن عاشور : " ومحمل ذلك أنه تأويل ممن رواه عنه نظرًا إلى أن الكفار الصرحاء لا يؤمرون بالصلاة وليس في ذلك حجة لكون الآية مدنية ؛ فإن الضمير في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ وارد على طريقة الضمائر قبله، وكلها عائدة إلى الكفار وهم المشركون، ومعنى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ ﴾ كناية عن أن يقال لهم: أسلموا ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القلم] فهي في المشركين" ([1]) .

وآياتها خمسون آية ([2]) ، وكلماتها مائة وإحدى وثمانون ، وحروفها ثمانمائة وستة عشر ، ومجموع فواصل آياتها { عبرتم لنا } على اللام : {الفصل} في الموضعين ، وعلى الراء : {القصر وصفر} ، وعلى الباء { ذي ثلاث شعب، واللهب} ([3]) .

وهذه السورة هي الثانية والثلاثون في ترتيب نزول القرآن ، نزلت بعد سورة الهمزة ، وقد نزلت سورة الهمزة بعد سورة القيامة ، وكان نزول سورة القيامة فيما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء ، فيكون نزول سورة المرسلات

---

[1]) التحرير والتنوير . لمحمد الطاهر ابن عاشور ، مج ١٢/ ٢٩ / ٤١٨. دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

[2]) ينظر: البيان في عد آي القرآن. لأبي عمرو الداني ، تح : غانم قدوري الحمد ، ٢٦١، ط/ ١ ، مركز المخطوطات والوثائق ، الكويت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، والإتقان في علوم القرآن : ١/ ١٩٠.

[3])) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تح : محمد علي النجار : ١/ ٤٩٥، المكتبة العلمية ، بيروت

في ذلك التاريخ أيضًا ([1]) ، وهي السابعة والسبعون في ترتيب المصحف الشريف تقع في الجزء التاسع والعشرين بعد سورة الإنسان .

ثانيًا : فضل السورة وتسميتها :

أما فضل السورة فلا أعلم فيها حديثًا صحيحًا يخصها بالذكر ، إلا أنها من السور التي شيبت رسول الله ﷺ، وعجلت بظهور الشيب في شعره الشريف ﷺ ؛ لعظيم خوفه وخشيته من أهوال يوم القيامة التي أخبرت بها هذه السورة العظيمة، فعن ابن عباس ﷺأنه قال : " قال أبو بكر الصديق ﷺ: يا رسول الله قد شبت!، فقال ﷺ : "شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمس كوّرت" ([2]).

ولم ترد لها تسمية صريحة عن النبي ﷺ بأن يضاف لفظ سورة إلى جملتها الأولى، وسميت في عهد الصحابة سورة ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ ففي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ في الصحيحين قال: "بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ فإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإنّ فاه لرطب بها إذ خرجت علينا حية، فقال: اقتلوها، فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا، فقال

[1]))ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٢٨٨/١، والنظم الفني في القرآن. عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ٣٣٦.

[2])) حديث صحيح صححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : ٢/ ٦٧٦، رقم الحديث (٩٥٥) ، وصححه أيضًا في مختصر شمائل الترمذي : ٤٠، برقم (٣٤) ، وفي صحيح الترمذي برقم : (٢٦٢٧) .

رسول الله ﷺ: وقاها الله شركم كما وقاكم شرها" (١). ووجه تسمية السورة بهذا الاسم هو افتتاحها به في أول آية منها، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ ﴾ .

وعند البقاعي أنها تسمى (العرف) ، وتابعه شهاب الدين الخفاجي في حاشيته على البيضاوي والإمام القاسمي، والإمام الألوسي (٢) . وذكرت في دلائل النبوة للبيهقي ، وفي الإتقان للسيوطي ، وفي بصائر ذوي التمييز باسم [المرسلات](٣) .

ثالثًا : مناسبة السورة لما قبلها: ظاهرة جدًّا ، وهو أنه تعالى لما ختم سورة الإنسان بالوعد لأوليائه بالرحمة ، في قوله :﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ ﴾ ، والوعيد لأعدائه الظالمين المكذبين بالعذاب في قوله : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤ ﴾، وقوله :﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ۝٣١ ﴾ افتتح هذه السورة بالإقسام على أن ذلك الوعد

---

١)) أخرجه البخاري ، ح رقم : (٣٣١٧) ، ٤ / ١٢٩. وأخرجه مسلم ، ح رقم : (٢٢٣٤) ، ٤/ ١٧٥٥.

٢)) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. لبرهان الدين إبراهيم البقاعي، ٨/ ٢٨١، ط/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، ٨/ ٢٩٥، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان، ومحاسن التأويل للقاسمي، ١٧/ ٦٠١٩، ط/ ١، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م ، وروح المعاني: ١٠/١٥/ ١٨٧.

٣)) ينظر : دلائل النبوة ٧/ ١٤٢، والإتقان في علوم القرآن : ١/ ١٩٠ ، وبصائر ذوي التمييز : ١/ ٤٩٥.

والوعيد كائن فقال تعالى :﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ ، " ولو لم يتقدم إلا هذا الوعيد المختتم به السورة لطابقه افتتاح الأخرى قسمًا عليه أشد المطابقة، فكيف وسورة { هل أتى على الإنسان } برأسها مواعد أخروية وإخبارات جزائية ؟ فأقسم – سبحانه وتعالى – على صحة الوقوع ، وهو المتعالي الحق وكلامه الصدق " ([1]) .

كما لا يخفى على ذي لبّ أن السورتين – الإنسان والمرسلات – اشتركتا في الحديث عن البعث وما بعده من نعيم أو عذاب ، قال تعالى في سورة المرسلات : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٤٤ ﴾، وقال تعالى في سورة الإنسان : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ الآيات.

ومن ذلك أيضًا اشتراك هذه السورة والتي قبلها في الكلام على بعض أطوار خلق الإنسان ، قال تعالى في المرسلات : أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢﴾ ، وقال في سورة الإنسان : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

---

[1])) البرهان في تناسب سور القرآن. لأحمد بن إبراهيم بن الزبير ، ١٩٩ ، تح : سعيد جمعة الفلاح ، ط / ١ ، دار ابن الجوزي ، ١٤٢٨هـ، وينظر: نظم الدرر ٨/ ٢٨١. البحر المحيط لأبي حيان : ٨/ ٣٩٥، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي، تح: عبد القادر عطا ، ١٣١، ط / ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

رابعًا : مناسبة السورة لما بعدها :

المناسبة بين سورة المرسلات وسورة النبأ التالية لها ظاهرة جدًّا جدًّا ، فالسورتان مشتملتان على إثبات القدرة على البعث ، كذلك نجد التوافق والتناسب في الجمل بين السورتين ، ففي سورة المرسلات يقول تعالى:﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾، وفي النبأ يقول: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾﴾{النبأ: ٦} وسورة المرسلات أوجزت الحديث عن يوم الفصل ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ في حين جاء الحديث عنه في النبأ مفصلًا ([1]) ، واختتمت سورة المرسلات آياتها بالتسآول ، فقال تعالى :﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ وافتتحت سورة النبأ آياتها بالتسآول عن هذا الحديث ، فقال تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ وهذا وجه من وجوه المناسبة .

كذلك من أوجه المناسبة بين السورتين الوعيد المتكرر فيهما ، ففي سورة المرسلات نجده في قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ ، وفي النبأ نجده في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ { النبأ : ٤– ٥}

خامسًا : موضوع السورة ومنهجها في عرض معانيها ومقاصدها :

يقرر علماء الإعجاز أن لكل سورة في القرآن الكريم " مقصدًا واحدًا يدار عليه أولها وآخرها ، ويستدل عليه فيها ، فترتب المقدمات الدالة عليه على

---

[1]) ينظر الآيات : { ١٧ – ٢٠} .

أتقن وجه ، وأبدع نهج ، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه " ([١]) بمعان تؤكده، " وهذا طابع عام في سور القرآن جميعًا ، ولا يشذ عن هذه القاعدة طوال السور " ([٢]) .

والسورة الكريمة كسائر السور المكية تعالج أمور العقيدة ، وتبحث عن شؤون الآخرة ، ودلائل القدرة والوحدانية ، وسائر الأمور الغيبية ، وعلى الرغم من أن السورة تعد وحدة متماسكة إلا أنه يمكن تقسيمها إلى مطلع ، وتسعة مقاصد ، وخاتمة ، و" كل مقطع من مقاطع السورة العشرة يمثل جولة أو رحلة في عالم ، تتحول السورة معه إلى مساحات عريضة من التأملات والمشاعر والخواطر والتأثرات والاستجابات أعرض بكثير جدًّا من مساحة العبارات والكلمات .. " ([٣]) .

المطلع : منذ بداية السورة والجو عاصف ثائر بمشهد الرياح أو الملائكة ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ وهو افتتاح يلتئم مع جو السورة وظلها تمام الالتئام .

---

[١]) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور . لأبي الحسن إبراهيم البقاعي . تح : عبد السميع محمد ، ١ / ١٤٩ ، ط / ١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧. وينظر: من بلاغة القرآن . لأحمد بدوي ، ١٧٥، نهضة مصر ، ٢٠٠٥م .

[٢]) في ظلال القرآن . لسيد قطب ، ١/ ٢٨، ط / ٩ ، دار الشرق ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .

[٣]) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٩٠.

المقصد الأول : يقع في مشاهد يوم الفصل ، وهو يصور الانقلابات الكونية الهائلة في السماء والأرض ، وهو الموعد الذي تنتهي إليه الرسل بحسابها مع البشر ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۸ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۹ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۱۰ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۱۱ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۱۲ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۱۳ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۱٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۱۵ ﴾

والمقصد الثاني : مع مصارع الغابرين ، وما يشير إليه من سنن الله في المكذبين ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۱٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۱۷ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۱۸ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۱۹ ﴾

والمقصد الثالث : مع النشأة الأولى وما يوحي به من تقدير وتدبير ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۲۰ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۲۱ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۲۲ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۲۳ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۲٤ ﴾

والمقصد الرابع : في الأرض التي تضم أبناءها إليها أحياء وأمواتًا ، وقد جُهزت لهم بالاستقرار والماء والمحيا ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۲۵ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ۲٦ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ۲۷ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۲۸ ﴾

والمقصد الخامس : مع المكذبين وما يلقونه يوم الفصل من عذاب وتأنيب ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۲۹ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۳۰ لَّا

ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

والمقصد السادس : استطراد مع موقف المكذبين ومزيد من التأنيب ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

والمقصد السابع : مع المتقين ، وما أعد لهم من نعيم وجزاء ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

والمقصد الثامن : خطفة سريعة مع المكذبين في موقف التأنيب ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

والمقصد التاسع : خطفة سريعة مع المكذبين في موقف التكذيب ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾، والخاتمة بعد هذه الجولات والاستعراضات والوخزات والإيقاعات ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾([1]).

* * *

[1]) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٩٠.

الدراسة التحليلية للسورة

المبحث الأول

أولًا : دراسة المطلع : ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾

افتتح هذا المطلع بالإقسام على ما يدل على تحقيقه وثبوت وقوعه ، وذكر وقته وأشراطه ، والقسم هنا بمخلوقات عظيمة دالة على عظم علم الله تعالى وقدرته . وصيغة القسم توحي ابتداء بأن ما يقسم الله به هو من مجاهيل الغيب ، وقواه المكنونة ، المؤثرة في هذا الكون ، وفي حياة البشر .

والمقصود من هذا القسم الدلالة به على عظمة الخالق وعلمه وقدرته ، وتأكيد الخبر، وتقريره في نفوس المخاطبين، وإزالة الشك من نفوسهم ومواجهة إنكارهم، وتنبيه المخاطبين إلى شرف المقسم به.

وفي تعدد الأقسام وتطويل القسم زيادة في تشويق السامع لتلقي المقسم عليه . فضلًا عن توكيد معناه ، وهو تحقق وقوع الموعود به يوم القيامة من الحساب والجزاء ([1]) .

ويرى العلماء أن الإقسام بالواو يحمل معنى التعظيم للمقسم به ؛ إذ ما من شيء من مخلوقات الله تعالى لم يخلق إلا لحكمة ظاهرة أو خفية . لكن الدكتورة عائشة بنت الشاطئ حيت تناولت ظاهرة أسلوب الإقسام تجاوزت

[1])) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩ / ٤١٩.

هذا الملحظ إلى معنى بياني على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له لملحظ بلاغي ، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتًا قويًّا إلى حسيّات مدركة توطئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لا تدرك بالحس ، فالقسم بالواو أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية ، وما يلمح فيه من الإعظام إنما يقصد به إلى قوة اللفت([1]).

ولما كان المقسم به موصوفات عظيمة قد حذفت ، وأقيمت صفاتها مقامها وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات، مما يدل على غموض هذه الألفاظ ومدلولاتها، وهذا الغموض هو أنسب شيء للقسم بها على الأمر الغيبي المكنون في علم الله، وأنه واقع كما أن هذه المدلولات المغيبة واقعة ومؤثرة في حياة البشر ([2]) .

وقد اختلف علماء التفسير في المراد بها ، فقيل إن : المراد من الكلمات الخمس في أول هذه السورة يحتمل أن يكون المراد بها جنسًا واحدًا أو أجناسًا مختلفة ([3]) .

---

[1]) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم. لعائشة بين عبد الرحمن، ط٧، ١/ ٢٥، دار المعارف، القاهرة .

[2]) ينظر : البحر المحيط : ٨/ ٣٩٥.

[3]) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . لفخر الدين الرازي ، تح : سيد عمران ، ١٥/ ٥٧٣، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م ، وتفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . للحسن بن محمد النيسابوري : ٦/ ٤٢١ ، ط / ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .

أما الاحتمال الأول ، فذكروا فيه وجوهًا كثيرة الأول منها :

أنها الملائكة ، حيث أقسم سبحانه وتعالى بطوائف الملائكة لشرافتهم ([1])، والذين أرسلهم بأوامره كجبريل وغيره من الملائكة حال كونها عرفًا أي : متتابعة متوالية تشبيهًا بعرف الفرس في تتابع شعره وتناسقه وانتظامه على طريقة التشبيه البليغ ([2]) .

قال الإمام ابن قتيبة: " يعني الملائكة ، يريد : أنها متتابعة يتلو بعضها بعضًا بما تُرسل به من أمر الله ، وأصل هذا من عرف الفرس ؛ لأنه

---

[1]) ينظر : حاشية القونوي على البيضاوي. لعصام الدين إسماعيل الحنفي، تح : عبد الله محمود ، ١٩/ ٥٠٤، ط١، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .

[2]) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن. لمحمد بن جرير الطبري، تح : أحمد عبد الرزاق وآخرون، ١٠/ ٨٣٨٧، ط٥، دار السلام القاهرة ، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، للزمخشري، ٤/ ٥١٦، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م، والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٥. والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي ابن عطية الأندلسي، تح : عبد السلام عبد الشافي: ٥/ ٤١٦، ط / ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، وتفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن كثير، ٤/ ٥٨٩، مؤسسة الريان للطباعة والنشر ، د . ت ، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ، ٤/ ١٢٩١، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، د . ت ، وتفسير أبو السعود المسمى – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . لمحمد بن محمد أبي السعود ، ٦/ ٣٤٧، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م ، ومحاسن التأويل : ١٧/ ٦٠٢٠، وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٨٨، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الحسين الطيبي ١٦/ ٢١٨، ط/ ١، جائزة دبي الدولية للقرآن ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .

سطرٌ مستوٍ بعضُه في إثر بعض ، فاستعير للقوم يتبع بعضهم بعضًا " ([١]) .

ومنه تقول العرب : الناس إلى فلان عرفٌ واحد : إذا توجهوا إليه فأكثروا ، وهم على فلان كعرف الضبع : إذا تألبوا عليه ، وانتصاب عرفًا على الحال من المرسلات ، مفيدة معنى التشبيه البليغ ، أي متتابعة مثل عرف الفرس يتلو بعضه بعضًا في إرسالها وتتابعها ([٢]) .

وكان الأصل والمرسلات متتابعة كالعرف ، فحذف متتابعة لدلالة التشبيه عليه ، ثم حذف أداة التشبيه مبالغة ([٣]) . والمرسلات جمع مرسلة بمعنى الطوائف المرسلات بالألف والتاء لكونها عبارة عن الطائفة المرسلة لمصلحة ، ومن حق جمع المؤنث من العقلاء أن يجمع بالألف والتاء ، ولا يكفي في صحة المرسلات بالألف والتاء أن يقدر كونها صفة الملائكة لأنه يستلزم أن يكون مفردها مرسلًا بمعنى ملك مرسل ، وليس كذلك بل هي جمع مرسلة

---

[١]) تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر ، ١٦٦، ط/ ٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

[٢]) ينظر : تأويل : مشكل القرآن : ١٦٦. والجامع لأحكام القرآن . لمحمد بن أحمد القرطبي ، ١٠/ ١٢٩، دار الحديث القاهرة ، ١٤٣١هـ = ١٩٩٤م . والتفسير الكبير : ١٥/ ٥٧٣. والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٥. وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٨٨. وفتح القدير : ٤/ ٤٠٦. ونظم الدرر : ٨/ ٢٨١.

[٣]) ينظر : روح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٨٨.

بمعنى طائفة مرسلة ، فتكون المرسلات بمعنى الطوائف المرسلة من الملائكة ، وعلى هذا فالفاءات لعطف الصفات لا لعطف الذوات ([١]) .

ويجوز أن يكون العرف خلاف النكر ، فيكون انتصابه على أنه مفعول لأجله ، أي : أرسلهن للإحسان والمعروف ، فإن قيل : قد فسرت الملائكة بملائكة العذاب ، فكيف يكون إرسالهم معروفًا ؟ قيل: "هؤلاء الملائكة إن كانوا بعثوا للرحمة فمعنى الإحسان حينئذ ظاهر ، وإن كانوا قد بعثوا لأجل العذاب فذلك إن لم يكن معروفًا للكفار فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله من الكفار لأجلهم" ([٢]) .

قوله : ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ ﴾، العصف هنا إما الإهلاك والإبادة، هو من قولهم : { عصفت الحرب بالقوم } أي: ذهبت بهم وأهلكتهم . وإما السرعة على التشبيه ([٣]) ، يقال { ناقة عاصف وعصوف } أي سريعة عصفت براكبها، فمضت كأنها ريح من السرعة ، قال الشماخ :

فَأَضْحَتْ بِصَحْرَاءِ الْبَسِيطَةِ عَاصِفًا تُوَالِي الحَصَى سُمْرَ الْعَجَايَاتِ مجْمِرا

---

[١]) ينظر : حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي . ٨/ ٤٥١-٤٥٢. ط/ ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م . واللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن عادل ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ٢٠/ ٦٠ ، ط/ ١، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م . وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٠٤.

[٢]) الكشاف : ٤/ ٥١٦.

[٣]) ينظر :كتاب العين . للخليل بن أحمد ، ٦٤٥، دار إحياء التراث ، بيروت ، د . ت . ولسان العرب . لابن منظور ، ٩/ ٢٤٨، دار صادر ، د . ت .

ومعنى الفاء في { فالعاصفات} التفريع والتعقيب على المرسلات؛ للدلالة على أن السرعة عقيب الإرسال بلا تأخير مع السببية ، وفيه مدح لهم بأنهم سارعوا في الإجابة بلا انفصال من الإرسال ، وهو من عطف الصفة على الصفة لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات ([١]) . " ولما كان العصوف للعواصف يتعقب الهبوب عطف بالفاء تعقيبًا وتسبيبًا " ([٢]) ، والمعنى : شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة في سرعة جريهن في نزولهن وهبوطهن بالرياح الشديدة الهبوب ([٣]) ، تشق الهواء بما لها من كبر الأجسام والقوة والإسراع التام سرعة تشبه سرعة الريح بدارًا إلى امتثال الأمر وتنفيذه ، وإيقاع العذاب بالكفرة إنقاذًا للأنبياء – عليهم السلام – ونصرة لهم . وإن كان المراد بالعصف الإهلاك والإبادة فالمراد أنهم يعصفون بروح الكافر ويطيرون بها .

والعصف مؤكد للوصف ([٤]) ، تأكيدًا لشدة الدفع وقوته وتنوينه هنا للتعظيم ، ومجيء العصف على زنة (فَعْل) دالة على القوة والشدة لقوة الفتح مع السكون ، فضلًا عن دلالة الإعمام والشمول ([٥]) ، وعلى هذا فالشمول والإعمام يحيل معنى العصف إلى تنوع دلالة العصف بين الشدة والقوة والاضطراب الذي تحدثه الرياح حين عصفها.

---

[١]) ينظر : حاشية القونوي : ١٩/ ٥٠٥.

[٢]) نظم الدرر : ٨/ ٢٨٢.

[٣]) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٦١ ، وحاشية محي الدين زاده : ٨/ ٤٥٢.

[٤]) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٦١.

[٥]) ينظر : أبنية الاسم الثلاثي المجرد في القرآن . آمنة سعد ، ٢٢٤.

ثم أقسم بطوائف من الملائكة ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ ﴾ "نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن إلى الأرض بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض ، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين" ([1]) ، "وعطف قوله : (والناشرات) على (المرسلات) بالواو لعدم كون نشر الشرائع متفرعًا على الإرسال ، ومتعقبًا له ، والواو لا يقتضي الترتيب ، فإن الملائكة أول ما يبلغون الوحي إلى الرسل لا يصير ذلك الدين في الحال مشهورًا منتشرًا ، بل أكثر الخلق يكذبون الرسل مكابرة وعنادًا فلم يعطف النشر على ما قبله بفاء التعقيب ، بل عطف بالواو الدالة على الاجتماع في الوجود مع قطع النظر عن إفادة معنى التعقيب والتراخي " ([2]).

والنشر ضد الطي، ويكثر استعماله مجازًا في الإظهار والإيضاح ، وفي الإخراج " ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للإيذان بكونهما غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء بهما ، أو للإشعار بأن كلًا من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والإجلال بالإقسام بهن"([3]).

قوله : ﴿ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ۝٤ ﴾ ، الفرق : التمييز بين الأشياء ، والفرق إما أن يكون حقيقيًا مثل : تمييز أهل الجنة عن أهل النار يوم الحساب ،

---

[1]) الكشاف : ٤/ ٥١٦، وينظر : والتفسير الكبير : ١٥/ ٥٧٣. ومدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٤/ ١٢٩١. وتفسير غرائب القرآن : ٦/ ٤٢٢. وتفسير أبي السعود : ٦/ ٣٤٧-٣٤٨.

[2]) حاشية محي الدين زاده على تفسير البيضاوي : ٨/ ٤٥٢، وينظر : حاشية القونوي : ١٩/ ٥٠٥.

[3]) تفسير أبي السعود : ٦/ ٣٤٨.

وتمييز الأمم المعذبة في الدنيا عن الذين نجاهم الله من العذاب مثل قوم نوح عن نوح ، وعاد عن هود ، وقوم لوط عن لوط وأهله عدا امراته . وإما أن يكون مجازيًّا وهو أنهم يأتون بالوحي الذي يفرق بين الحق والباطل ([1]) .

ولما كانت الملائكة تلقي ما معها من الروح المحيي للقلوب ، قال تعالى : معبرًا بفاء التعقيب والتسبيب ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ ﴾ ([2]) . فإنه إذا حصل النشر رتب عليه حصول الفرق بين الحق والباطل وإلقاء الذكر إلى الأنبياء الكرام ، فلذلك عطف الأمرين بفاء التعقيب.

" والإلقاء ههنا مستعار لتبليغ الذكر من الملائكة إلى الرسل فأهل الأرض ، بتشبيهه بإلقاء شيء من اليد إلى الأرض ، وهذا الإلقاء متفرع على الفرق ، لأنهم يخصون كل ذكر بمن هو محتاج إليه ، فذكر المؤمنين بالنعيم والجنة، وذكر الكافرين بالعذاب والنار " ([3]) .

وصيغة { ملق } اسم فاعل مشتق من الفعل المضارع المبني للمعلوم {يلقي}، وغالبًا ما يدل اسم الفاعل على الحدوث بمعنى الاستمرار والتجدد، فالملائكة هم من يبلغ الوحي .

وعلى هذا الوجه ـ أعني أن المراد بهم الملائكة ـ نجد تناسقًا بديعًا في الآيات الست الأولى من حيث إنها اشتملت في أقسامها على معان تؤيد جواب القسم ، ففيها الحجة على مضمون الجواب ، وهو وقوع الجزاء الموعود به. فإن إرسال المرسلات العاصفات ونشرها الصحف وفرقها بين الحق والباطل

---

[1]) ينظر : تفسير غرائب القرآن : ٦/ ٤٢٢. والتحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٢٢.

[2]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٢٨٢. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٠٥.

[3]) التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٢٢.

وإلقاءها الذكر للإعذار والإنذار كل ذلك لا يكون إلا مع وجود التكليف، وهذا التكليف لا يتصور بدون وجود يومٍ مُعَدٍّ للجزاء ثوابًا للمطيع، وعقابًا للعاصي وهو يوم القيامة، فالذي أقسم تعالى به من المعاني لتأكيد وقوع الجزاء الموعود هو بعينه حجة على وقوعه، كأنه قيل : أقسم بهذه الحجة أن مدلولها واقع ([1]).

الوجه الثاني: أنها الرياح ([2])، أقسم الله برياح عذاب أرسلهن متتابعة متكاثرة بعضها في إثر بعض، فعصفن عصفًا"، ولما كان العصوف للعواصف يتعقب الهبوب عطف بالفاء تعقيبًا وتسبيبًا فقال: {فالعاصفات} أي: الشديدات من الرياح عقب هبوبها" ([3]).

والعصف ههنا حقيقة لدلالته على قوة هبوب الريح – وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ولما كان نشر الرياح للسحاب متراخيًا عن هبوبها ومتباطئًا في الثوران عطف بالواو الصالحة للمعية والتعقب بمهلة للتنبيه

---

[1]) الميزان في تفسير القرآن للطبطبائي ١٦١/٢٠، ط/١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

[2]) ينظر: جامع البيان: ١٠/ ٨٣٨٧ وما بعدها، والكشاف: ٤/ ٥١٦، والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٥-٣٩٦، والتفسير الكبير: ١٥/ ٥٧٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٢٨-١٢٩، وتفسير القرآن العظيم: ٤/ ٥٨٩، وتفسير أبي السعود: ٦/ ٣٤٨، ومحاسن التأويل: ١٧/ ٦٠٢٠، وروح المعاني: ١٠/ ١٥/ ١٨٨، وفتح القدير : ٤/ ٤٠٦. والتحرير والتنوير : ١٢/ ٤٢٠-٤٢٢.

[3]) نظم الدرر : ٨/ ٢٨٢.

على أنه معطوف على ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ﴾ لا على ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ ﴾ لأن العصف حالة مضرة والنشر حالة نفع ([1]) .

ففرّقن بينه، أي: بين السحاب كقوله: ﴿ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا ﴾{الروم: ٤٨} ، أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله ـ تعالى ـ وبين من يكفر .

ولما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها ما في ذلك السحاب من ماء أو ثلج أو برد أو صواعق قال معبرًا بفاء التعقيب والتسبيب ﴿ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٥ ﴾ أي صرن سببًا في حصول الذكر لأن الإنسان العاقل إذا شاهد تلك الرياح التجأ إلى ذكر الله والتضرع إليه فيكون عذرًا للذين يعتذرون إلى الله تعالى بالتوبة والاستغفار ، وإنذارًا للذين يغفلون عن الله ويغفلون شكره إذ ينسبونها إلى الأنواء .

وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببًا في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت. ولتفرع { الفرق } بمعنييه عن { النشر } بمعنييه ، عطف {الفارقات} على {الناشرات } بالفاء ، وأكد بالمفعول المطلق .

والاحتمال الثالث: أن الله تعالى أقسم بجنسين من مخلوقاته العظيمة، ويتجه في توزيعها أن الصفات التي عطفت بالفاء تابعة لجنس ما عطفت هي عليه، والتي عطفت بالواو يترجح أنها صفات جنس آخر .

---

[1]) ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل . لمحمود بن حمزة الكرماني ، تح : شمران العجلي ، ٢/ ١٢٩١، دار الثقافة ، جدة . وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي : ١٩/ ٥٠٨. والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٩/ ٤٢١.

قال أبو حيان: "والذي أراه أن المقسم به شيئان ، ولذلك جاء العطف بالواو في {والناشرات} والعطف بالواو يشعر بالتغاير ، وأما العطف بالفاء إذا كان في الصفات فيدل على أنها راجعة لموصوف واحد، وإذا تقرر هذا فالظاهر أنه أقسم أولًا بالرياح فهي مرسلاته تعالى ، ويدل عليه عطف الصفة بالفاء، وأن العصف من صفات الريح في عدة مواضع من القرآن ، والقسَمُ الثاني فيه ترقٍ إلى أشرف من المقسم به أولًا وهم الملائكة، ويكون {فالفارقات} و {الملقيات} من صفاتهم كما في عطف الصفات وإلقاؤهم الذكر وهو ما أنزل الله يصح إسناده إليهم " ([1]).

ومناسبة الجمع بين هذين الجنسين في القسَم أن كليهما من الموجودات العلوية وأن حياة الأرض والنبات وأبدان الحيوان بالرياح . فإنها من روح الله ، وقد جعلها الله تعالى نشورًا، وحياة القلوب والأرواح بالملائكة ([2]) ، " ولأن الأصل في العطف بالواو أن يكون المعطوف بها ذاتًا غير المعطوف عليه" ([3]) ، وما جاء بخلاف ذلك فهو خلاف الأصل مثل قول الشاعر :

إِلَى الْمَلِكِ الْقِرْمِ وَابْنِ الهُمَامِ وَلَيْثِ الْكَرِيهَةِ فِي المُزْدَحَمِ

ولما ذكر هذه الأقسام عللها بقوله: ﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ۝٦ ﴾ ، وفي انتصابهما أوجه أربعة : الأول: إما أنهما بدلان من { ذكرًا }، الثاني: أنهما منصوبان به على المفعولية ، والعامل فيهما المصدر المنون ، وإعماله جائز

---

[1]) البحر المحيط : ٨/ ٣٩٦. وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٦/ ٤٢٢– ٤٢٣.

[2]) ينظر : التبيان في أيمان القرآن ٢٢٨. لابن قيم الجوزية ، تح : عبد الله سالم البطاطي ، ط / ١ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٩هـ

[3]) التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٢٠.

،كما في قوله تعالى : ﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ١٥﴾ {البلد : ١٤– ١٥} .

والثالث أنهما مفعولان من أجلهما ، أي: للإعذار والإنذار ، والعامل فيهما إما {الملقيات}، وإما {ذكرًا } ؛ لأن كلًا منهما يصلح أن يكون معلولًا بأحدهما ، وحينئذ يجوز في عذرًا أو نذرًا وجهان :

أحدهما: أن يكونا مصدرين بسكون العين من عذر إذا محا الإساءة ، ومن أنذر إذا خوف ، جاءا على فعل كالشُكْر والكُفْر ، والأول ظاهر لأن فعلًا من مصادر الثلاثي ، وأما الثاني فعلى خلاف القياس ، مصدر أفعل الإفعال . فلعل المراد أنه اسم مصدر له .

ثانيهما: أن يكونا جمع عذير ونذير ، والمراد بهما المصدر ، بمعنى الإعذار والإنذار لا بمعنى المنذر ، كالنكير بمعنى الإنكار .

والرابع: أنهما مصدران جمعان في موضع الحال ، أي : عاذرين أو منذرين . وأو في قوله تعالى : { أو نذرا } للتقسيم ([1]) ، " وربما كانت بمعنى واو النسق " ([2]).

---

[1]) ينظر: الكشاف: ٤/ ٥١٧، والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٦، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لشهاب الدين السمين الحلبي ، تح : علي محمد معوض وآخرون، ٦/ ٤٥٤، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، والمحرر الوجيز : ٥/ ٤١٧، والتفسير الكبير : ١٥/ ٥٧٧، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٠٩. واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٦٣.

[2]) تأويل مشكل القرآن : ٥٤٣. وينظر : تفسير غريب القرآن . لابن قتيبة ، تح : السيد أحمد صقر ، ٥٠٥، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

ولما تمت هذه الأقسام مشتملة على أمور عظام جاء جواب القسم ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ مؤكدًا لإنكارهم ، ومبينًا لهم ما يحصل قبله من مقدمات زيادة في تهويله ، ولم يكتف بهذا بل زيد في الجواب تأكيدًا بإنَّ لتقوية تحقيق وقوعه . والتعبير بقوله : { واقع } دون { كائن } أبلغ في تحقق الوقوع وتأكيده . ومجيئه على زنة { فاعل } للدلالة على الثبات والاستقرار ([1]) .

وفي الإخبار عن أمارات وقوع هذا اليوم تنبيه على عدم التهاون به ، ولذلك ناسب أن يعقِب ذكر الأمارات بقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

و{ إنّما } كلمتان هما { إنّ } التي هي حرف تأكيد ، و { ما } الموصولة ، وليست هي { إنما } التي هي أداة حصر ، والتي { ما } فيها زائدة . وتوعدون صلتها ، والعائد محذوف ، أي : إن الذي توعدونه من أمر القيامة – بدليل ذكر أماراتها بعده – لواقع . والخطاب هنا للمشركين . وقد يكون المراد كل ما توعدونه من الخير والشر نظرًا إلى عموم لفظ الموصول ([2]) .

و {ما توعدون } هو البعث للجزاء ، وهم يعلمون الصلة فلذلك جيء في التعبير عنه بالموصولية ، وبناه للمفعول لأنه المرهوب لا كونه من معين مع أنه معروف أنه مما توعد به الله على لسان رسوله ﷺ

---

[1]) ينظر : حاشية القونوي : ١٩/ ٥١٠.

[2]) ينظر : اللباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ٦٧. وحاشية محي الدين زاده على تفسير البيضاوي : ٨/ ٤٥٤.

وقد كتبت هنا متصلة ، أي : { إنّ } بـ { ما } لأنهم لم يكونوا يفرقون في الرسم بين الحالتين ، والرسم اصطلاح ، ورسم المصحف سنة في المصاحف . وهذا قول عام لا يتبين منه السر البلاغي .

والذي يبدو للمتأمل أننا نجد قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ { الأنعام : ١٣٤ } أنها وقعت مفصولة ، وفي آيتي الذاريات ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ ﴾ والمرسلات ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ وقعت متصلة ، فما سرّ ذلك التغاير ؟ والجواب – والله أعلم بمراد كلامه – يعود إلى السياق ، أي سياق كل سورة ، نجد أنه لم يذكر في سورة الأنعام شيء يتعلق بالآخرة ، أو يتصل بها ، وإنما جاء بعدها قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝١٣٦ ﴾ {الأنعام : ١٣٦}، ففصل { ما يوعدون } عن واقع الآخرة .

ولما كان السياق في آيتي الذاريات والمرسلات عن أحداث الآخرة وأهوالها موصولًا وصل ما توعدون بها ، فلاق كل في موضعه وراق .

واشتمل هذا المقطع التمهيدي للسورة على مجموعتين تختلفان من حيث الفواصل ورؤوس الآي ، فالمجموعة الأولى تبدأ من أول السورة إلى قوله تعالى : ﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ ﴾ ، ففواصل هذه المجموعة تتفق في المقاطع

والأوزان، " وختمت هذه المجموعة بقفلة هي سر الجمال كله ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ "([1]).

وقال هنا ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ وقال في الطور : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾ وقال في الذاريات : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ ﴾ والآيات واقعة في أمر واحد وحدث واحد ، فما سرّ ذلك التغاير ؟

قال ابن الزبير : " اعلم أن سورة (الذاريات) تقدمها في سورة (ق) إخباره سبحانه بالعودة الأخرواوية وإقامة البرهان على ذلك ... ثم أعقب بذكر مكذبي الأمم وما حق عليهم من الوعيد الأخراوي ... ثم استمرت آي هذه السورة على هذا المنهج من ذكر البعث ... ثم أمر نبيهﷺ ، فلما اشتملت السورة على أوعاد وجزاء أعقبت بالقسم على ذلك من صدق وعده سبحانه وتعالى ووعيده ، ووقوع الحساب فقال: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ ﴾ إلى قوله: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ۝٦ ﴾ {الذاريات : ٥-٦} وتناسب النظم في ذلك كله أبين تناسب " ([2]) .

وأما سورة الطور فقال : " القسم فيها مرتبط بما اتصل به ووقع عليه القسم من قوله تعالى خاتمة سورة الذاريات : ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ

---

[1]) خصائص التعبير القرآني. دعبد العظيم المطعني، ١/ ٣٣١، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ =١٩٩٢م.

[2])) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل . لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، ٢/ ٤٤٨، ط/ ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾{الذاريات : ٥٩-٦٠} فأتبع قسمًا على هذا بقوله : ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ ﴾ إلى قوله :﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴿٨﴾﴾ { الطور : ٧-٨} وأما قوله في المرسلات : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ ﴾ ، فمرتبط بما بنيت عليه سورة الإنسان ، فإنها بجملتها دارت آياتها وجرت على ما به ختمت من قوله تعالى : ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾ ﴾{ الإنسان : ٣١} ، فتحصل مجرد وعد ووعيد ، ولم تخرج السورة عن ذكر الفريقين ممن وعد وتوعد، فناسب ذلك قوله جوابًا للقسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾﴾، فجاء كل من المواضع الثلاثة على ما يناسب، ولا يلائم النظم في ثلاثتها غير ما ورد " ([1]).

وتكشف لنا البنية الصوتية لكلمة ﴿ وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ ﴾ أنها تتألف من ثلاثة أصوات متوسطة هي { الميم الراء ، اللام } ، وصوتين مهموسين {السين ، التاء} وصوت واحد مجهور {الألف} وهذا التوزيع يوحي بأن تلك الرياح ليست شديدة قوية تسوق البلاء ، وتأتي بالعذاب ، وتهلك الحرث والنسل ، بل هي مبشرة بالمطر تنقل السحاب بأمر الله ، ويؤيد ذلك أنه " ليس في محض الإرسال دلالة على الشدة ، فلذلك عطف عليه العاصفات بالفاء"([2]).

---

[1])) ملاك التأويل : ٢/ ٤٤٨-٤٤٩.

[2])) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان،عبد الحميد الفراهي ص ٢٥، ط/ ١،الدائرة الحميدية، الهند ، ٢٠٠٨م .

وهذا القصد الواضح في استعمال الرياح يتجلى في القرآن العظيم باستعمالها حيث وردت في الخير والرحمة ([1]).

وحين نمعن النظر في أصوات هذه الكلمة نجد نوعًا من التناسب مع دلالاتها ، فصوت غنة الميم تقابل صوت هبوب الرياح، وهي مستمدة من قوة الجهر والتوسط فيه ، فضلًا عن دلالة الميم على التجمع والانضمام ([2]) الذي يوحي بتجمع الهواء ، ثم يأتي صوت الراء الذي يوصف بالتكرار ليوحي بأن تلك الرياح متكررة ومستمرة مرة بعد أخرى ، وكذلك يوحي صوت السين بهمسه ورخاوته بسير الرياح واسترسالها الزماني والمكاني ، ويوصف الألف أيضًا باتساع الصوت بمخرجه فيكون مجرى النفس معه أوسع ، وهذا الاتساع يوحي بانتشار تلك الرياح واتساعها وكأنها تنتشر في أرجاء الأرض.

وأما المعنى الآخر للمرسلات وهو الملائكة فتظهر المناسبة بين بنيتها الصوتية وما تدل عليه من خلال أصواتها ، فصفة التكرير في صوت الراء تصور تتابع إرسال الملائكة لتبليغ أوامر الله وتنفيذها ، وتأتي السين بصفيرها وانبساطها لتقابل انتشار الملائكة وتفرقها في كل نواحي الأرض([3])، وبعدها يأتي صوت الألف الممدود المجهور ، وهو ملمح من

---

[1]) ينظر : التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي ، ١٤، دار عمار ، الأردن ، ٢٠٠٧م .

[2])) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها في المعجم الوسيط ـ دراسة وصفية تحليلية عن المفردات ، علية منفردة ١٩٦، جامعة مولانا مالك إبراهيم ، إندونيسيا ، ٢٠١٠م .

[3])) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس ، ١١٢، مطبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م .

ملامح القوة ليناسب قوة إعلان الوحي وكشفه وعلوه ، فالجهر من الصفات القوية ([١]) .

وإذا تأملنا الآلية النطقية لأصوات هذه الكلمة نجد نوعًا من الإيحاء عن دلالتها ، فصوت الميم الذي يحدث بانطباق الشفتين على بعضهما انطباقًا تامًا فينحبس الهواء في الفم ، ثم يأخذ الهواء مسراه بالخروج عن طريق الأنف ([٢]) يوافق أحداث هبوب الرياح وانتشارها .

وأما الراء الذي يصدر بتكرار ضربان اللسان على مؤخر اللثة تكرارًا سريعا([٣]) فيدل عما يماثله في الطبيعة من صور مرئية تنطوي على تتابع الرياح وتحركها ، وفي نطق السين يحصل الصفير ومعه الهواء الخارج من الفم في أثناء نطقه يوحي بصوت الرياح ، ويأتي صوت الألف الذي يخرج الهواء عند النطق به بشكل مستمر من دون عائق ([٤]) ليقابل مواصلة الرياح واستمرارها مدة زمنية معينة ، وتختم الكلمة بصوت التاء الذي يحصل بانحباس الهواء عند التقاء طرف اللسان بالثنايا العليا ، وحين ينفصل اللسان

---

[١])) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. لمكي بن أبي طالب، تح: محي الدين رمضان ، ١/ ١٣٧، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤م .

[٢])) ينظر : الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل ، ١٥٧، ط/ ١، دار صفاء للنشر ، عمان ، ١٩٩٨م .

[٣])) ينظر : علم الأصوات . كمال بشر ، ٣٤٥، دار غريب للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

[٤])) المدخل إلى علم أصوات العربية . غانم قدوري الحمد ، ١٣٧، دار عمار ، عمان ، ٢٠٠٤م .

يندفع الهواء بقوة محدثًا صوتًا انفجاريا ([1]) وهذا يقابل قوة اندفاع الرياح في الطبيعة .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ ﴾ يوحي صوت الصاد في خصائصه النطقية بهذه الرياح " الشديدات الهبوب السريعات الممر"([2])؛ لأنه من الأصوات ذوات التردد العالي.

وهذا التردد في حقيقته " قوة أكوستيكية ناجمة عن سرعة حركة الهواء في منطقة التضييق عند موضع النطق ، إذ يتم حصر قدر كبير من الهواء في هذه المنطقة فتشتد حركته على نحو يجعل توجهه نحو نقطة الخروج سريعًا " ([3]) ، فالتناسب قد حصل بين سرعة حركة الهواء في منطقة نطقه وبين سرعة هذه الريح القوية، ويدل الاستعلاء والإطباق فيه على قوة هذه الريح وشدتها، فالعصف يطلق على قوة هبوب الريح لأنه حال من أحوالها حين يشتد هبوبها فتتحول على عواصف.

وتظهر المناسبة بين الفاء والريح في خروج الهواء من الفم عند نطقها ليقابل هبوب الريح فضلًا عن كونها من الأصوات المهموسة والرخوة،

---

[1]) ينظر : علم الأصوات : ٢٤٩.

[2]) جامع البيان للطبري :٨٣٨٩.

[3]) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية. سمير شريف، ١٥٨، ط/١، دار وائل للنشر، عمان ، ٢٠٠٢م ، ولفظة " اكوستيكية" تعني: الأداء اللغوي، أو اللغة المنطوقة.

وهاتان الصفتان فيهما جريان يحدث في الأولى للنَّفَس وفي الثانية للصوت([1]) .

وعند قراءة قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ ﴾ نستوحي دلالة هذه الكلمة من أصواتها فدلت على ذاتها بذاتها إذ تطالعنا صفة التفشي في صوت الشين التي معناها في اللغة الانتشار .

وفي قوله تعالى :﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ ﴾ يحاكي الحفيف الخارج مع صوت الفاء أحد معانيها وهو الرياح إذ يتكون هذا الصوت حينما تتصل الشفه السفلى بأطراف الثنايا العليا ويندفع الهواء الخارج من الرئتين دون اهتزاز الأوتار الصوتية بعد أن يضيق مجرى الهواء ليسمع ذلك الحفيف أو الاحتكاك الذي يمنح صفة الرخاوة ([2]) ، فضلًا عن اجتماع الشفة مع أطراف الثنايا العليا الذي يوحي باجتماع الرياح وتكونها ، وأما صوت القاف الذي يمتلك صفات القوة والاستعلاء والقلقلة والشدة فيناسب قوة التمييز والفصل في القسم بكل فارقة بين الحق والباطل .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ نجد أن أصوات هذه الكلمة كلها مجهورة وشديدة ، وقد أكسبتها ذائقة سمعية قوية مما جعل " مصاقبة

---

[1]) ينظر : الكتاب لسيبويه ، تح : عبد السلام هارون ، ٤/ ٤٣٤، ط٣، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م . والمدخل إلى علم أصوات العربية : ١٠٤.

[2]) ينظر : الأصوات اللغوية لعبد القادر جليل ، ١٥٨-١٥٩.

الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي " ([1]) يتجلى فيها ، إذ إن هؤلاء الملائكة أقوياء أمناء قادرين على حمل هذه الرسالة .

* * *

[1])) الصوت اللغوي في القرآن . محمد حسين الصغير ، ١٥٨، دار المؤرخ ، بيروت (د . ت) .

المبحث الثاني (الانقلاب الكوني السماوي والأرضي }

ولما كان من المعلوم أنهم يقولون استهزاء : متى هذا الوعد ؟ أجيبوا بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾ . والآيات الكريمة في هذا المقطع الجليل تصف الأهوال العظيمة الغريبة التي تقع في أوّل يوم القيامة ، والمشاهد الغيبية المفزعة التي تحصل عند قيام الساعة ، وكلها توحي بانفراط عقد هذا الكون المنظور ، " وإلى جانب هذا الهول في مشاهد الكون تعرض السورة أمرًا عظيمًا آخر مؤجلًا إلى هذا اليوم فهو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة ، وفي التعبير تهويل لهذا الأمر العظيم الذي يوحي بضخامة حقيقته"([١]) .

قوله : ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ ﴾ ، الفاء في قوله : { فإذا النجوم طمست} تفريع وتفصيل لما أجمل في قوله : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ "لأنه لما أفاد وقوع البعث وكان المخاطبون ينكرونه، ويتعللون بعدم التعجيل بوقوعه بيّن لهم ما يحصل قبله، وزيادة في تهويله عليهم، والإنذار بأنه مؤخر إلى أن تحصل تلك الأحداث العظيمة، وفيه كناية رمزية على تحقيقه؛ لأن الأخبار عن أمارات حلول ما يوعدون يستلزم التحذير من التهاون به ، ولذلك ختمت هذه الأخبار بقوله تعالى :﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾"([٢]).

---

[١]) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٩٢.

[٢]) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٩/ ٤٢٤.

وفي تكرار كلمة ﴿ وَإِذَا ﴾ في أوائل الجمل المعطوفة على قوله : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ مع إغناء الواو عن إعادتها كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ ﴾ { القيامة : ٧-٩} ؛ إطناب قصد التهويل، ولإفادة الاهتمام بمضمون كل جملة ، واستقلاله وجعله علامة على وقوع الموعود به في يوم القيامة ([1]).

والنجوم جمع نجم ، على زنة (فُعول) دلالة على كثرتها، وفي ذلك دلالة على عظمة خالقها، وسمي النجم بذلك لطلوعه ، يقال : نجم ينجُم نجومًا إذا طلع وظهر ، ويقال : نجم النبت والناب والقرن والكوكب ينجُم نجومًا إذا طلع ، ويجمع أيضًا على : أنجم ونجوم وأنجام ونُجُم ([2])، وطمس النجوم ذهاب ضوئها، ومحي نورها كطمس الكتاب ، والطمس إزالة الأثر بالمحو ، يقال طمس الشيء إذا درس وطمس فهو مطموس ، والريح تطمس الآثار فتكون الريح طامسة ، والأثر طامسًا بمعنى مطموس ([3])

وقد تنوع التعبير القرآني وتكرر عن محو آثار النجوم وإزالتها في أهوال يوم القيامة تأكيدًا له ، فتارة يعبر بالانكدار كما في قوله : ﴿ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ { التكوير : ٢ } ، والانكدار كما يعني سرعة تساقطها فإنه يوحي بتغير معالمها وذهاب لونها على سبيل الاستعارة بتشبيه ذهاب ضوئها بتكدير الماء المذهب لصفائه ورونق منظره ، وكدرة العيش الدال على

---

[1]) ينظر : التحرير والتنوير ١٢/ ٢٩/ ٤٢٤.

[2]) ينظر : لسان العرب : ١٢/ ٥٦٧.

[3]) ينظر : لسان العرب : ٦/ ١٢٦. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/ ١٣٠.

خلاف طمأنينة الحياة ، فالنجوم المنيرة إذا انفصم رباطها تناثرت ، وخبا نورها ، فأظلمت وفقدت بهاءها ، فتكون على صورة كدرة بغيضة .

وتارة يعبر بانطماس النجوم كما في هذه الآية ، " وهذه استعارة ، والمراد بطمس النجوم – والله أعلم – محو آثارها، وإذهاب أنوارها ، وإزالتها عن الجهات التي كان يستدل بها ويُهتدى بسمتها ، فصارت كالكتاب المطموس الذي أشكلت سطوره واستعجمت حروفه ، والطمس في المكتوبات حقيقة ، وفي غيرها استعارة"([1]) .

وتارة يعبر بانتثار الكواكب إن قصد بها النجوم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ ﴾ {الانفطار : ٢} وذلك على سبيل الاستعارة المكنية التي تقوم على تشبيه إزالة الكواكب وتساقطها من السماء باللآلئ المتساقطة، وهذا من تفنن القرآن الكريم في التعبير ، وتنوعه في تأدية طرائق تركيب الكلام، وتصريف المعنى الواحد في دلالات مختلفة، كل دلالة تناسب سورتها وسياقها، إمعانًا في التحدي والإعجاز للعرب المخاطبين، وإظهارًا للفصاحة في أسمى صورها، وأعلى مراتبها، وطردًا للسآمة والملل عن نفوس القرّاء، فضلًا عن التأكيد والتقرير المتحقق في النفوس من جرّاء هذا التكرار؛ لتفخيم شأن أهوال ذلك اليوم العصيب ([2]).

---

[1])) تلخيص البيان في مجازات القرآن . للشريف الرضي ، ٣٥٨، ط١، عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .

[2])) ينظر : النكت في إعجاز القرآن . لأبي الحسن الرماني ، طُبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، ١٠٢، ط ٤، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت .

فدل طمسها على أن لفاعله غاية القدرة، وأعاد الظرف تأكيدًا للمعنى زيادة في التخويف فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ ﴾ أي: شقت وفتحت وتدلت أرجاؤها، ووهت أطرافها وتفرق ما كان ملتحمًا من هيكلها ([1]) ، " فإذا أريد بالسماء الجنس الصادق بجميع السموات على طريقة العموم الحقيقي ، أو الصادق بسموات مشهورة على طريقة العموم العرفي ، وهي السموات السبع التي يعبر أهل الهيئة عنها بالكواكب السيارة جاز أن يكون فرج السموات حدوث أخاديد عظيمة في الكواكب زيادة عن طمس نورها .

وإذا أريد بالسماء فرد معين معهود وهي ما نشاهده كالقبة الزرقاء في النهار وهي كرة الهواء ، فمعنى فرجت : فساد عناصر الجو بحيث تصير فيه طرائق مختلفة الألوان تبدو كأنها شقوق في كرة الهواء كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ ﴾ {الانشقاق: ١}، وكل ذلك مفض إلى انقراض العالم الدنيوي بجميع نظامه ومجموع أجسامه " ([2]) .

قوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ ﴾ ، الجبال جمع جبل ، جمع كثرة على زنة فعال ، وجمعها هنا للدلالة على كثرتها وعظمتها ، ودلالة على قدرة خالقها سبحانه وتعالى . والنسف القلع ([3]) ، ونسف الجبال قلعها وإزالتها ، من قولهم نسفت الريح الشيء ، أي : اقتلعته وأزالته ([4]) ، فكانت هباء منبثًا ، فلم يبق لها أثر . وقيل : جعلت كالحب الذي يُنسف بالمنسف .

---

[1]) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ٤/ ٥٩٠.

[2]) التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٢٤.

[3]) ينظر : لسان العرب : ٩/ ٣٢٨.

[4]) ينظر : التفسير الكبير للرازي ١٥/ ٥٧٨.

ولما ذكر تغيير السماء والأرض ذكر ما فعل ذلك لأجله فقال : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ ﴾ ، والرسل جمع رسول على زنة { فُعُل } ، وأفاد الجمع هنا الكثرة ، و{ أقتت } أصلها { وقتت } ويدل عليه وجوه ، أحدها: قراءة أبي عمرو {وقتت }بالواو ([1]) ، وثانيها : أن أصل الكلمة من الوقت ، وثالثها: أن كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة ، فإنها تبدل على الاطراد همزة ، والسبب فيه أن الضمة من جنس الواو ، فالجمع بينها يجري مجرى جمع المثلين فيكون ثقيلًا ، ولهذا السبب كان كسر الياء ثقيلًا ([2]) ، وقد ذكر سيبويه اللغتين { وقتت وأقتت } فلم يقدم إحداهما على الأخرى ، فإذا كانتا فصيحتين فالأولى اتباع السواد ([3]) .

قال الرازي : " وفي التأقيت قولان : الأول : تبيين الوقت الذي فيه يحضرون للشهادة على أممهم ، وهذا ضعيف ، وذلك لأن هذه الأشياء جعلت علامات لقيام القيامة ، كأنه قيل : إذا كان كذا وكذا كانت القيامة ، ولا يليق بهذا

---

[1]) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : ٢/ ٣٥٧. والنشر في القراءات العشر . لمحمد الجزري : ٢/ ٢٩٦، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .

[2]) ينظر : معاني القرآن للفراء، ٣/ ٢٢٢، ط٣، عالم الكتب، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، تح: عبد الجليل شلبي ، ٥/ ٢٠٨، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م، وإعراب القرآن للنحاس ، ٥/ ٧٣، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت،= =١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م، والبيان في إعراب غريب القرآن للأنباري، ضبطه : بركات هبود، ٤٠٧/٢، شركة دار الرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري، تح : علي البجاوي، ٢/ ١٢٦٣، ط٢، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

[3]) ينظر : الكتاب لسيبويه ٤ / ٣٣١.

الموضع أن يقال : وإذا بين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم قامت القيامة لأن ذلك البيان كان حاصلًا في الدنيا ، ولأن الثلاثة المتقدة وهي الطمس والفرج والنسف مختصة بوقت قيام القيامة ، فكذا هذا التوقيت يجب أن يكون مختصًا بوقت قيام القيامة .

والقول الثاني : أن المراد بهذا التأقيت تحصيل الوقت وتكوينه ، وهذا أقرب أيضًا إلى مطابقة اللفظ ، لأن بناء التفعيلات على تحصيل تلك الماهيات ، فالتسويد تحصيل السواد ، والتحريك تحصيل الحركة ، فكذا التأقيت تحصيل الوقت ، ثم إنه ليس في اللفظ بيان أنه تحصيل لوقت أي شيء . وإنما لم يبين ذلك ولم يعين لأجل أن يذهب الوهم إلى كل جانب فيكون التهويل فيه أشد فيحتمل أن يكون المراد تكوين الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وأن يكون هو الوقت الذي يجتمعون فيه للفوز بالثواب ، وأن يكون وقت سؤال الرسل عما أجيبوا به ، وسؤال الأمم عما أجابوهم ، وأن يكون هو الوقت الذي يشاهدون الجنة والنار والعرض والحساب والوزن وسائر أحوال القيامة " ([1]).

وبناء الأفعال { طُمست ، وفُرجت ، ونُسفت ، وأُقتت ، وأجلّت} بصيغة المجهول لأن القصد الاعتبار بحصول الفعل ، وصرف الذهن إلى الحدث نفسه ، والانتباه إليه ، والاهتمام بمضمون الجملة الفعلية ، لا بتعيين الفاعل الذي هو الله تعالى ، وإن لم يذكر فهو ظاهر معلوم ، مع ما في ذلك من الدلالة على تعظيم الفاعل ، وأنه متعين لا يقدر عليها إلا الله العظيم ([2]).

---

[1]) التفسير الكبير : ١٥ / ٥٧٨.

[2]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٢٥.

وورود { أقتت وأجلت} على صيغة { فعّل } للدلالة على التكثير والمبالغة ، وفي ذلك تعظيم لتوقيت الرسل وتأجيلها .

وجواب { إذا } محذوف لدلالة ما قبله عليه ، تهويلًا له ؛ لتذهب النفس فيه كل مذهب ، وتقديره : إذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون . والأصل في التعبير بأدوات الشرط أن يليها فعل الشرط مباشرة ، ولكن جاء المسند إليه في هذه الآيات مقدمًا على خبره الفعلي ، وكان ارتفاعه بفعل مقدر يفسره الفعل المذكور بعد المسند إليه ، وذلك للإيجاز والاختصار ؛ لأن ذكره مرتين بمعنى { فإذا طمست النجوم طمست } لا يحتمله الكلام خصوصًا مع وضوح تقديره لوجود ما يفسره ، ولما في هذا التقديم من مزيد توكيد تلك الأخبار وتقوية الحكم في أذهان السامعين ، فالمسند في الآيات السابقة جاء رافعًا لضمير عائد على المسند إليه .

وسر التقوية: أن فيه تكرارًا للإسناد من حيث إن الأفعال {طمست}، {فرجت}، {نسفت} { أقتت } أسندت مرتين: الأولى إلى الضمير المستتر فيه العائد إلى المسند إليه المقدم ، ثم أسندت ثانية إلى الاسم الظاهر { النجوم}، { السماء } ، { الجبال } ، وبتكرار الإسناد يتقوى الحكم ، ويتقرر في ذهن السامع والمخاطب ، هذا على إعراب الأسماء الظاهرة عقب أداة الشرط {إذا} نائبًا للفاعل ، أما إذا أعربت مبتدأ – وهو رأي الكوفيين – فإن في المبتدأ تشويقًا للمخاطبين إلى ذكر الخبر ، بسبب تقديم المسند إليه على المسند الفعلي ، وتنبيهه على أن أمرًا جللًا سيحدث بشأنه ليلتفت إليه ، فيتحقق الحكم لديه ، ويثبت في ذهنه .

والاستفتاح في الآيات السابقة بأداة الشرط والتحقق { إذا } ؛ للتشويق ، وللدلالة على تحقق وقوع خطب جلل تنقلب له نواميس الكون كله ، وأوثرت في هذا المقام { إذا } الشرطية ؛ لأن الأصل فيها أن تستعمل في الشرط المقطوع بوقوعه ، ولمزيد من التهويل والتخويف أُصطفي الفعل الماضي للتعبير عن هذه المشاهد المستقبلية يوم القيامة ؛ قصدًا للدلالة على تحقق وقوع مدلولاتها وتأكيد حصولها ، وتصويرًا لها بصورة الواقع، فكأن تلك الأحوال الرهيبة قد وقعت حقًا ، فأصحابها عاينوا أهوالها التي لطالما استبعدوا وقوعها ، وأنكروا حصول تفاصيلها المفزعة ، وكأنما هي قصة تقص لأخذ العظة منها ، وذلك أقوى في مقام الترهيب والتخويف، خصوصًا وأن الحديث صادر ممن لا شك في صدق أخباره ، ولا مناص من تحقق وقوع ما يخبر به، فهي استعارة تبعية في زمن الفعل لا في حدثه تقوم على تشبيه المستقبل بالماضي في تحقق الوقوع .

* * *

والتنكير في قوله : ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ ﴾ هو للتعظيم والتفخيم والتهويل والتعجيب من هوله ، والتشويق إلى معرفته ، أي : لأي يوم عظيم ، ([1]) ،

([1]) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٧٩، والكشاف ٤/ ٥١٧، والبحر المحيط: ٨ / ٣٩٧، والتفسير الكبير: ١٥/ ٥٧٩، وتفسير أبي السعود : ٦/ ٣٤٨، وتفسير الثعالبي ، المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للإمام الثعالبي ، تح: علي محمد معوض وآخرون، ٥/ ٥٣٧، ط/ ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥١٢، ومحاسن التأويل : ١٧/ ٦٠٢٢، وروح المعاني ١٠/ ١٥ / ١٩٢، والتفسير البلاغي للاستفهام في القرآن للمطعني ٤/ ٣٣٤، ط٣، مكتبة وهبة ، ١٤٣٢هـ = ٢٠١٢م .

وبنى الفعل للمجهول؛ لأن المقصود تحقيق الأجل، لا كونه من معين ، وتنبيهًا على أن المعين له معلوم أنه الله الذي لا يقدر عليه سواه ([1]).

وقد سيقت الآية والتي بعدها في صورة الاستفهام وجوابه للتعظيم والتهويل والتعجيب ، وأصل المعنى : أخرت هذه الأمور ليوم الفصل ، وهذا النوع من الجمل الاستفهامية في معنى تقدير القول ، والمعنى أن من عظمة هذا اليوم وهوله وكونه عجبًا أنه يُسأل عنه فيقال : لأي يوم أخرت هذه الأمور العظيمة الهائلة العجيبة ؟ فيجاب عن هذا السؤال بقوله مبدلًا من { لأيّ يوم} :﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ ﴾ بيانًا ليوم التأجيل ([2]) ، ولذا ترك العطف، ثم هوله وعظمه بقوله: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾ ، ثم زاده تهويلًا بقوله : ﴿ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ ﴾ ، أي : وما علمك بيوم الفصل وشدته ومهابته ، ووضع الظاهر {الفصل } موضع الضمير { ما هو } لزيادة التفظيع والتهويل المقصودين من الكلام ([3]) .

وتوافقت فواصل الآيات الست على حرف واحد وهو التاء الساكنة بما يحمله من همس يتناسب والموقف المهيب ، حيث تنتهي حركة الحياة الأولى في الكون ، والإيذان بسيطرة الخوف والدهشة على النفوس والوجوم الذي يغشى

---

[1]) ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ٨ / ٢٨٤.

[2]) الكشاف ٤/ ٥١٧. والبحر المحيط ٨/ ٣٩٧. والجامع للقرطبي : ١٠/ ١٣١. ومدارك التنزيل : ٤/ ١٢٩١. ومحاسن التأويل : ١٧/ ٦٠٢٢.

[3]) ينظر : التفسير الكبير ١٥/ ٥٧٩. ونظم الدرر : ٨ / ٢٨٤. وتفسير أبي السعود ٦/ ٣٤٩. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥١٣. وروح المعاني ١٠/ ١٥ / ١٩٢. وفتح القدير : ٤/ ٤٠٨. واللباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ٧٠.

الناس ، بسبب الأوضاع الغريبة والمخيفة التي صار إليها ، مما كان له توافق إيقاعي حسن ، وتوازن صوتي عجيب عند التلاوة تلين له القلوب ، وتلذ لسماعه الآذان ، ويزداد حسن الفواصل حسنًا بالتشابه في بنية وحدات تركيب الآيات وطولها وعدد كلماتها ، فكلها ابتدأت بداية متشابهة بحرف الشرط { إذا } وعلى وزن واحد بحيث يأتي الاسم يعقبه الفعل مبنيًا لما لم يسمّ فاعله .

كما نلاحظ تكرار صوت الصفير {السين} في {طمست – السماء – نسفت – الرسل}، وهذا الصوت يمتلك نغمًا صارمًا في الصوت وأزيزًا شديدًا في السمع يتفق مع أهوال يوم الفصل إذ يحدث بجرسه الشديد هذا هزة شعورية تحصل في النفس وهو أليق شيء بموضوع السورة ومشاهدها العنيفة ، وتبرز المناسبة بين صفة الانفجار في صوت {التاء} في الأفعال: {طمست ـ فرجت ـ نسفت }، وقوة حدث طمس النجوم، ونسف الجبال، وانشقاق السماء، وتدل أيضًا على نهاية الحدث واكتماله([1]).

ولما هوّل أمره أعقبه بتهويل ثالث ([2]) ، فذكر ما يقع فيه من الشدة فقال : ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ ، وهو استئناف لتهديد المشركين ، وتهويل يوم الفصل في نفوسهم ليحذروه ، وهو متصل في المعنى بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ اتصالًا نظميًّا يقتضيه تسلسل الكلام وسياقه .

---

[1])) الإعجاز الصوتي في جزء عمّ . أناهيد الحريري ، ٨٣، مكتبة الرشد ، الرياض ، ٢٠٠٦م .

[2])) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٧٩. وتفسير غرائب القرآن ٦/ ٤٢٣.

قال ابن عاشور: " فموقع جملة ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ ابتداء الكلام ، وموقع جملة ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾ التأخر ، وإنما قدمت لتؤذن بمعنى الشرط ، وقد حصل من تغيير النظم على هذا الوجه أن صارت جملة ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ بمنزلة التذييل فحصل في هذا النظم أسلوب رائع ، ومعان بدائع " ([1]) .

والويل شدة الشر وحلوله ([2]) . قال سيبويه : " وأما قوله تعالى جده ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ فإنه لا ينبغى أن تقول إنه دعاء ههنا؛ لأن الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكن العباد إنما كُلّموا بكلامهم ، وجاء القرآن على لغتهم، وعلى ما يعنون، فكأنه والله أعلم قيل لهم : ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾، أي: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة ووجب لهم هذا " ([3]) .

والويل مصدر لا فعل له من لفظه ، ولم يجيء من هذه المادة التي فاؤها واو وعينها ياء إلا ويل ووبح ووبس ووبب، ولا يثنى ولا يجمع ، ويقال : ويله ويجمع على ويلات قال امرؤ القيس { فقالت لك الويلات إنك مرجلي}، وإذا أضيف ويل فالأحسن فيه النصب، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ

---

[1]) التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٩ / ٤٢٧.

[2]) ينظر : العين للخليل : ١٠٧١.

[3]) الكتاب لسيبويه : ١/ ٣٣١.

لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ {طه: ٦١}، وزعم بعضهم أنه إذا أضيف لا يجوز فيه إلا النصب، وإذا أفردته اختير فيه الرفع ([١]) .

والويل – كما سبقت الإشارة إليه – في الأصل مصدر ، وعدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معنى الهلاك ودوامه للمدعو عليهم ([٢]) .

وقد كرر هذا التهويل في تسعة مواضع أُخر عقب كل مشهد من مشاهد الآخرة ، أو وصفٍ له ، أو فعل دالٍ على القدرة الإلهية لمزيد التأكيد والتقرير([٣]) ، فلا يكون تكرارها مستهجنًا ، ولو لم يكرر كان متوعدًا على بعض دون بعض .

قال القرطبي: " وكرر الويل في هذه السورة عند كل آية لمن كذب؛ لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشيء عذابًا سوى تكذيبه بشيء آخر ، ورب شيء كذب به هو أعظم جرمًا من تكذيبه بغيره .. " ([٤])، وقال الطوفي: " وفائدته : تحقيق الويل بهم ، وتأكده ؛ تحذيرًا من التكذيب وتنفيرًا منه أو زجرًا " ([٥]) .

---

[١]) ينظر : البحر المحيط ١/ ٤٣٦. والدر المصون ١/ ٢٧٠. ولسان العرب ١١/ ٧٣٨.

[٢])) ينظر : الكشاف ٤/ ٥١٧، والتفسير الكبير ١٥/ ٥٧٩، وتفسير أبي السعود ٦/ ٣٤٩، وروح المعاني ١٠: ١٥ / ١٩٢، ونظم الدرر : ٨ / ٢٨٤.

[٣]) ينظر : نظم الدرر : ٨ / ٢٨٤ ، وتفسير غرائب القرآن : ٦/ ٤٢٣.

[٤]) الجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ١٣٢.

([٥]) الإكسير في علم التفسير . لسليمان الطوفي ، تح : عبد القادر حسين ، ٢٧٧ ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

وقد أوحت أصواتها المجهورة القوية بالمعنى ، فصوت الواو الذي ينطق بانضمام الشفتين إلى بعضهما في وضع استدراجي ([1]) يوحي بتجمع الكفار، وكأن اندفاع الشفتين إلى الأمام فيه يصور حالة المكذبين وهم يساقون للأمام نحو الجحيم ([2]) ، وجاء المد في الياء متآزرًا مع طويل هذا العذاب، وانتهت باللام المفخمة تعظيمًا لأمره ، وتفخيمًا لشأنه ليصور العذاب الشديد.

والمتأمل يجد في المقطع الأول أن جملة ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ جاءت بعد التذكير بالنعم والأحوال الكونية، وهذا الإنذار جاء في مواجهة الهول السائد في الكون. وفي المقطع الثاني جاءت بعد التهديد والكشف عن مصارع الغابرين الأولين كعاد وثمود وغيرهما ، والآخرين وهم كفار مكة، سنة الله في كل مجرم ، ولن تجد لسنة الله تبديلًا . وفي المقطع الثالث جاءت لتذكيرهم بخلقهم وإنشائهم من ماء مهين ، يودع في قرار الرحم المكين ، إلى قدر معلوم وأجل مرسوم ، توبيخًا لهم وتذكيرًا بنعم الله عليهم وآثار قدرته فيهم .

" وفي قوله ههنا ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ توبيخ وتخويف من وجهين : أحدهما : أن النعمة كلما كانت أعظم كان كفرانها أفحش . والثاني : أن القادر على الإبداء أقدر على الإعادة ، فالمنكر لهذا الدليل الواضح يستحق التوبيخ " ([3]) . وفي المقطع الرابع يعدد الله سبحانه وتعالى عليهم

---

[1]) ينظر : الأصوات اللغوية : ١٥٧.

[2]) ينظر: الدلالة الصوتية في القرآن الكريم. لمزعل اللامي ٥٨، ماجستير ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧م.

[3]) تفسير غرائب القرآن : ٦ / ٤٢٤.

نعم الآفاق بعد ذكر الأنفس ، فالأرض كفاتًا تحتضن بنيها أحياء وأمواتًا ، والرواسي الشامخات الثابتات تتجمع على قممها السحب ، وتنحدر عنها مساقط الماء العذب ، أفيكون هذا إلا عن قدرة وتقدير ، وحكمة وتدبير ؟ أفبعد هذا يكذب المكذبون؟.

" ولما وصلت أدلة الساعة في الظهور إلى حد لا مزيد عليه ، وحكم على المكذبين بالويل مرة ، وأكد بثلاث ، فكان من حق المخاطب أن يؤمن فلم يؤمن أمر بما يدل على الغضب فقال تعالى في المقطع الخامس معلّمًا لهم بما يقال لهم يوم القيامة: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ تبكيتًا وتقريعًا وتهويلًا. ولما كان هذا الأمر عظيمًا ومهولًا وعصيبًا وشديدًا ، جاء التعقيب المعهود في المقطع السادس ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾"([1]).

واستكمل المشهد في المقطع السابع بعد عرض الهول المادي في صورة جهنم، بعرض الهول النفسي الذي يفرض الصمت الرهيب، والكبت الرعيب (المرعب)، والخشوع المهيب، الذي لا يتخلله كلام ولا اعتذار ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ، فقد انقضى وقت الجدل، ومضى وقت الاعتذار ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ ([2]) .

ثم أشار في المقطع الثامن لمزيد التهديد والتوبيخ إلى اليوم المذكور بقوله : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ ﴾ ثم أوضح هذه الجملة بقوله : ﴿ جَمَعۡنَٰكُمۡ ﴾ أيها المتأخرون ، والأولين ، لأن الفصل بين الخلائق لا يجوز إلا بإحضار

---

[1]) نظم الدرر : ٨/ ٢٨٧.

[2]) ينظر : في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٩٤.

الكل، ثم عجّزهم وحقّر أمرهم بقوله :﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ وحقر أمرهم ، وهذا التعجيز والتخجيل من جنس العذاب الروحاني فلهذا عقبه بقوله: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

فإذا انتهى مشهد التأنيب في المقطع للمجرمين اتجه الخطاب في المقطع التاسع بالتكريم للمتقين فزاد في حسرتهم وغمهم بتعديد ما أعده الله للمطيعين المتقين من الظلال والعيون والفواكه بدل ظلالهم التي لا روح فيها ، ولا تغني عن الحر والعطش ، وهذا أيضًا من جنس العذاب الروحاني بالنسبة للكافرين حين يرون الذين اتقوا الشرك في النعيم المقيم ، ولذا أردفه بقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

والعاشرة : " للتأكيد دلالة على أن لهم من الويل ما لا ينتهي ، كما أن الواحد لا ينتهي على أنها لو كانت كلها لتأكيد الأول لكان ذلك حسنًا ، فإن من كذبك في أشياء من البلاغة أن تقرره بواحدة منها ، ثم تقول له عند قيام الدليل { ويل لك } ، ثم تفعل فيما بعده كله كذلك وتعيد عليه ذلك القول بعينه تأكيدًا له وتحقيقًا لوقوع معناه دلالة على أن الغيظ قد بلغ منتهاه ، والفجور وانقطاع العذر لم يدع موضعًا للتنصل منه ، والبعد عنه ، وذلك في كلام العرب شائع معروف سائغ " ([1]).

* * *

[1]) نظم الدرر : ٨ / ٢٨٤.

المبحث الثالث : (دلائل قدرة الله الباهرة)

ولما أقسم على وقوع الوعد والوعيد أتبعه دلالة أجلى منها بما يشاهد من خراب العالم النفسي ، فقال منكرًا على من يكذب به ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ ، فالآية استئناف بخطاب موجه للمشركين ، والاستفهام للتهديد والوعيد والإنكار ([1]) ، وفيه انتقال من وصف أحوال اليوم الآخر إلى خطاب المشركين المكذبين المنكرين للبعث .

وقال ابن عاشور : " والاستفهام للتقرير ، وهذا الاستفهام هو استدلال على إمكان البعث بطريقة قياس التمثيل " ([2]) ، والتعريف في ﴿ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ للعهد، والمراد جميع أمم الشرك الذين كانوا قبل مشركي عصر النبوة .

و ﴿ ثُمَّ ﴾ في قوله : ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ للتراخي الرتبي ؛ لأن التهديد أهمُّ من الإخبار عن أهل المحشر ، ولأنه الغرض من سوق هذا الكلام، ولأن إهلاك الآخرين مسبوق بإهلاكٍ ، فهو أشد منه . والجمهور

---

[1]) ينظر : التبيان في علم المعاني والبديع والبيان . لشرف الدين حسين الطيبي ، تح : هادي عطية الهلالي ، ١٦٦، ط/ ١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م . وينظر : مفتاح العلوم . لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي ، تح : عبد الحميد هنداوي ، ١٧٩، ط/ ٢، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ٢٠١١م .

[2])) التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٩ / ٤٢٨.

على رفع العين ﴿ نُتۡبِعُهُمُ ﴾ استئنافًا ، ([١]) ، أي : ثم نحن نتبعهم ، كذا قدره أبو البقاء ، وقال : " وليس بمعطوف؛ لأن العطف يوجب أن يكون المعنى : أهلكنا الأولين ، ثم أتبعناهم الآخرين في الهلاك ، وليس كذلك ؛ لأن هلاك الآخرين لم يقع " ([٢]) ورده السمين الحلبي بقوله : " ولا حاجة في وجه الاستئناف إلى تقدير مبتدأ قبل الفعل ، بل نجعل الفعل معطوفًا على مجموع الجملة من قوله : ﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ﴾ ، ويدل على هذا الاستئناف قراءة عبد الله ثم سنتبعهم بسين التنفيس"([٣]).

ووقعت جملة ﴿ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ ﴾ موقع البيان لجملة ﴿ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ ، وهو كالتذييل يبين سبب وقوع إهلاك الأولين ، وأنه سبب لإيقاع الإهلاك بكل مجرم . ولذا ورد بالفصل من غير عطف ، كأن قائلًا قال : لماذا هلكوا ؟ فقيل : كذلك نفعل بالمجرمين ، فبين الجملتين شبه كمال اتصال، وذكرُ وصف {المجرمين}

---

[١]) ينظر : الكشاف : ٤/ ٥١٨. ومعاني القرآن للفراء : ٣/ ٢٢٣. ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٠٨. البيان في إعراب القرآن للأنباري ٢/ ٤٠٨. والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٧. والمحرر الوجيز : ٥/ ٤١٨. والدر المصون : ٦/ ٤٥٥. والتفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٠.

[٢]) التبيان في إعراب القرآن : ٢ / ١٢٦٣-١٢٦٤. واللباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ٧٢.

[٣])) الدر المصون: ٦ / ٤٥٦، وينظر: التفسير الكبير ١٥ / ٥٨٠، وحاشية القونوي: ١٩/ ٥١٥، واللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٧٢، وروح المعاني: ١٠ / ١٥ / ١٩٢، وفتح القدير: ٤/ ٤٠٨، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٣٢.

إيماء إلى أن سبب عقابهم بالإهلاك هو إجرامهم ([1]) . والإشارة في قوله تعالى : { كذلك } إلى الفعل المأخوذ من {نفعل} ، أي مثل ذلك الفعل الفظيع نفعل بهم ([2]).

ولما ذكر إفناء الأولين والآخرين ذَكَّر ووقف على أصل الخلقة التي يقتضي النظر فيها فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ([3]) .

والاستفهام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم ﴾ للتقرير ، وجيء به على طريقة تعداد الخطاب في مقام التقريع والتوبيخ ، وجاء تكرار الاستفهام في الآيتين دون عطف لأن مقام التقرير والتقريع يقتضي ذلك ، فهو شبيه بسرد الأعداد أو الحروف المتتالية ؛ لذا كان حقه ترك العطف ([4]) .

والماء المهين : نطفة ضعيفة ، قال ابن فارس : " الميم والهاء والنون أصل صحيح يدل على احتقار وحقارة في الشيء " ([5]) ، ووصف النطفة بالماء المهين لتذكير الإنسان بأصله حتى ينأى عن الاستكبار والغرور بنفسه .

---

[1])) ينظر : البحر المحيط : ٨ / ٣٩٧، والتحرير والتنوير : ١٢ / ٢٩ / ٤٢٩.

[2]) ينظر : تفسير أبو السعود : ٦ / ٣٤٩، وروح المعاني : ١٠ / ١٥ / ١٩٢. وفتح القدير : ٤/ ٤٠٨.

[3]) ينظر : البحر المحيط : ٨/ ٣٩٧، ونظم الدرر : ٨/ ٢٨٦.

[4]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٩ / ٤٣٠.

[5]) مقاييس اللغة . لابن فارس ، تح : عبد السلام هارون : ٥/ ٢٨٣، دار الفكر .

وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ تفصيل لكيفية الخلق على سبيل الإدماج مع مناسبته ، إذ فيه دلالة على القدرة على إعادة الخلق ، ولذلك ذيله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾، والقرار المكين هو الرحم ([1])، والمعنى: قرار مستقر مكين حصين ، فهو في الأصل: صفة لمستقر ، وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ، فإن الرحم ليس بقرار ، بل مستقر فيه ([2]) ، ووصف الرحم بالقرار المكين ههنا للدلالة على الثبوت والرسوخ والاستقرار ، وهذا على سبيل الرعاية والعناية والامتنان والرحمة بالمخلوق .

وثمة توظيف رائع للأصوات في كلمتي {مهين ، مكين} ، فالاختلاف بينهما يكمن في صوت {الهاء ، والكاف} ، فالهاء صوت ضعيف " فإذا كان أحد الصفات الضعيفة في حرف كان فيه ضعف ، وإذا اجتمعت فيه كان ذلك أضعف له كالهاء التي هي مهموسة رخوة منفتحة خفية ، وكل واحدة من هذه الصفات من صفات الضعف في الحرف ؛ ولذلك بينت الهاء بواو مرة ، وبياء مرة . زيد ذلك بعدها لضعفها وخفائها في قولك : { رماهو } و{عصاهو } ، و{ بهي }و { فيهي } ولم يفعل ذلك بشيء من الحروف غيرها" ([3]) ، وهذا الصفات تناسب معنى { المهين } ، وهو الضعيف

---

[1]) ينظر : جامع البيان : ١٠/ ٨٣٩٦، والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٧، وتفسير القرآن لابن كثير : ٤/ ٥٩١، ومدارك التنزيل : ٤/ ١٢٩٢، وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٩٣.

[2]) ينظر : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي : ١٩/ ٥١٦.

[3]) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها . لمكي بن أبي طالب ، تح : أحمد حسن فرحات ، ١١٨– ١١٩، ط ٣، دار عمار ، عمّان .

الحقير . وأما { مكين } فقد ناسبت صفة الشدة { الانفجارية } في الكاف وهي من علامات قوة الحرف في معناه ، فالمقصود به مكان حريز حصين يتمكن فيه الماء محفوظًا سالمًا من التعرض مما يفسده من الهواء وغيره .

والفاء في قوله : ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ للتفريع على قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ ، والفاء في قوله تعالى : ﴿ فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ للتفريع أيضًا على قوله : {فقدرنا} فهي تفريع لإنشاء الثناء ، أي فدل تقديرنا على أننا نعم القادرون . وهذا تنويه بذلك الخلق العجيب بالقدرة ، وعلامة الجمع للتعظيم لمناسبة ما أتت به الآيات من أفعال الله تعالى الدالة على القدرة ، ولمناسبة مقام الثناء والمدح ([1]) .

وقرأ الجمهور ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ بالتخفيف، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالتشديد، أي: {فقدّرنا}([2]) وتوجيه ذلك : أما قراءة التشديد فالمعنى : أنا قدرنا ذلك تقديرًا فنعم المقدرون له نحن، ويتأكد هذا الوجه بقوله: ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ {عبس: ١٩}، ولأن إيقاع الخلق على هذا التقدير والتحديد نعمة من المقدر على المخلوق ، فحسن ذكره في موضع ذكر المنة والنعمة ([3]) .

---

[1]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٩ / ٤٣٢.

[2]) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : ٢/ ٣٥٨. والنشر في القراءات العشر : ٢ / ٢٩٧. ومعاني القرآن : للكسائي : ٢٤٩. ومعاني القرآن للفراء : ٣ / ٢٢٣.

[3]) ينظر : الكشاف : ٤ / ٥١٨. والتفسير الكبير ١٥/ ٥٨١.

وأما القراءة بالتخفيف ففيها وجهان : الأول : أنه من القدرة أي فقدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا فنعم القادرون حيث خلقناه في أحسن الصور والهيئات ([١]) .

والثاني : أنه يقال : قدرت الشيء بالتخفيف على معنى قدرته ، قال الفراء العرب تقول : قُدِر عليه الموت ، وقُدّر عليه الموت . قال الكسائي والفراء : وهما لغتان بمعنى واحد ، قال تعالى : { فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا } ([٢]). ويأتي صوت القاف القوي بصفاته " فهو حرف قوي متمكن ؛ لأنه من الحروف المجهورة الشديدة المستعلية ، ومن حروف القلقلة " ([٣]) في قوله تعالى : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ ليضفي بجرسه ظلالًا جميلة على المعنى " تمثلت بالحكمة العليا التي تتولى كل شيء بقدره في إحكام مبارك جميل " ([٤]) ، لأنه من أمتن الحروف وأصحها جرسًا . قال الأزهري : " العين والقاف لا تدخلان على بناء إلا حسنتاه؛ لأنهما أطلق الحروف " ([٥])

ولما دل بابتداء الخلق على تمام قدرته أتبعه الدلالة بانتهاء أمره وأثنائه وما دبر فيهما من المصالح فقال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾

---

[١]) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٨١.

[٢]) ينظر : معاني الكسائي : ٢٤٩. ومعاني الفراء : ٣/ ٢٢٣. وجامع البيان للطبري : ١٠ / ٨٣٩٦. وإعراب القرآن للنحاس : ٥/ ٤٧. واللباب : ٢٠/ ٧٤.

[٣]) الرعاية : ١٧١.

[٤]) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٧٩٣.

[٥]) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري ، تح : محمد عوض مرعب ، ١/ ٣٨، ط ١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م .

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

قال ابن فارس: " الكفات من كفت : الكاف والفاء والتاء أصل صحيح، يدل على جمع وضم وقبض" (١) ، وهو إما اسم جنس لما يكفت، يقال : كفته الله إليه أي قبضه، ومنه الضمام والجماع لما يضم ويجمع (٢). وقال الإمام أبو عبيدة : " الكفات الوعاء ، يقال هذا النحي كِفتُ ، وهذا كفيت " (٣) ، لأنه يحوي اللبن ويضمه ، والمعنى: ألم نجعل الأرض أوعية تجمع الأحياء والأموات. وإما اسم آلة ؛ لأن فعالًا كثر فيه(٤).

وفي انتصاب ﴿ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ ﴾ وجهان : أحدهما : أنه مفعول ثان لنجعل ؛ لأنها للتصيير ، والثاني : أنه منصوب على الحال من الأرض ، والمفعول الثاني : ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ ﴾ بمعنى : ألم نصيرها أحياء بالنبات وأمواتًا بغير نبات؟(٥) وهو الأظهر على كون

---

١)) مقاييس اللغة لابن فارس : ٥ / ١٩٠ . وينظر : لسان العرب : ٢/ ٧٩.

٢)) ينظر: الكشاف: ٤/ ٥١٨، والدر المصون ٦/ ٤٥٦، والتفسير الكبير ١٥/ ٥٨٢،ومحاسن التأويل ١٧/٦٠٢٤.

٣)) مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢/ ٢٨١.

٤)) ينظر : محاسن التأويل : ١٧/ ٦٠٢٤، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥١٧.

٥)) ينظر : كتاب مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ، تح : ياسين السواس، ٢/ ٤٤٦، ط/ ٢، دار المأمون للتراث ، دمشق، والبيان في إعراب القرآن : ٢/ ٤٠٨، والتبيان في إعراب القرآن : ٢/ ١٢٦٤، والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٧، والمحرر الوجيز : ٥/ ٤١٩، والدر المصون : ٦/ ٤٥٦، واللباب : ٢٠/ ٧٥، ومحاسن التأويل : ١٧/ ٦٠٢٤. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥١٨.

كـون { كفاتًـا } مصـدرًا أو جمـع كافـت كصـيام جمـع صـائم ، لا علـى كونه اسم آلة فإنه لا يعمل ([١]) .

وقيل : ﴿ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ مفعول كفاتا قاله مكي ، والزجاج ، والزمخشري وبدأ به بعد أن جعل { كفاتًا } اسم ما يكفت كقولهم : الضمام والجماع ([٢]) ، ويعكر هذا القول ما نص عليه النحاة من أن أسماء الأمكنة والأزمنة والآلات وإن كانت مشتقة جارية على الفعال لا تعمل ([٣]).

والاستفهام في الآية الكريمة للتقرير جاء على سنن سابقيه في عدم العطف لأنه على طريقة التكرير للتوبيخ . وهو تقرير لهم بما أنعم الله به عليهم من خلق الأرض وتسخير منافعها لهم ، ومن ذلك أن محل الامتنان هو قوله تعالى : { أحياء } ، وأما قوله : { أمواتًا } فتتميم وإدماج ؛ للملازمة بين الحياة والموت ، تدل على أن الحياة هي المقصود من الخلقة ([٤]) .

ومن طرف آخر ففي الآية امتنان يجعل الأرض صالحة لدفن الأموات وسترهم ، وتنكيرهما للتعظيم والتفخيم وكونه للتفخيم لا ينافي الكثرة ، كأنه قيل : " تكفت أحياء لا يُعدون ، وأمواتًا لا يحصرون ، على أن أحياء الإنس

---

[١]) ينظر : الدر المصون : ٦/ ٤٥٦. وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي : ٨/ ٢٩٨.

[٢])) ينظر: كتاب مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٧، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٩، والكشاف ٤/ ٥١٨، واللباب : ٢٠/ ٧٦.

[٣]) ينظر : الدر المصون : ٦/ ٤٥٦.

[٤])) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٣٢.

وأمواتهم ليسوا بجميع الحياء والأموات " ([1]) ، ولذلك لم يؤت بهما معرفين باللام ، ومجيء الأحياء والأموات بصيغة الجمع للدلالة على الكثرة الكاثرة التي تضمهم وتدخلهم إلى جوفها ، على ما في معنييهما من التذكير بالحياة والموت . وقدم الأرض على الجبال الرواسي والماء الفرات لأن أقرب الأشياء إلينا من الأمور الخارجية هو الأرض([2]) .

قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ أي طوالا شاهقات ثابتات مرتفعات ، وكأن في ذكرها توطئة لقوله : ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ لأن الأنهار والعيون الطبيعية تنفجر من الجبال فتجري على السهول والأودية فتتشكل منها الأنهار والبحيرات ([3]) .

وفي اختلاف صيغتي الجمع في قوله : { رواسي شامخات } تناسق دقيق ، فقد جاء الوصفان المجموعان من اسم الفاعل مختلفي الصيغة، بين {فواعل} و{فاعلات } ، حيث عدل في الوصف الأول إلى التكسير ، فاستعمل صيغة {رواسي } ؛ لإرادة الاسمية ، لذا ساغ أن ينوب عن الاسم الموصوف الذي هو الجبال ، حتى أضحى يدل عليه منفردًا .

---

[1]) الكشاف ٤/ ٥١٨، وينظر: التفسير الكبير ١٥ / ٥٨٢، ومدارك التنزيل٤/١٢٩٢، وحاشية القونوي١٩/ ٥١٨.

[2]) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٢.

[3]) ينظر : تفسير الميزان ٢/ ١٦٨.

أما { شامخات } فجاءت على صيغة الجمع السالم مراعاة لمعنى الوصفية فيها ، إذ المقصود وصف الجبال بالشموخ ([١]) . والتنكير في { رواسي ، وشامخات } للتعظيم والتفخيم ، أو للإشعار بأن في الأرض جبالًا لم تعرف ولم يوقف عليها([٢]).

قوله : ﴿ وَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ ﴾ عطف لمناسبة ذكر الجبال ، أي جعلناه سقيًا لكم ولمزارعكم ومنافعكم ، والفرق بين {سقى وأسقى} أن كل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، قال سيبويه: "{سقيته فشرب ، وأسقيته جعلت له ماء وسقيا ، فسقيته مثل كسوته ، وأسقيته مثل ألبسته " ([٣]) ، إذًا فكلمة {سقى} تقال في سياق الشراب عندما يكون جاهزًا للشرب ، حيث تتم عملية السقيا بشكل مباشر لا كلفة معه ، ولهذا أوردها الله تعالى في شراب أهل الجنة فقال: { وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا } ، وأما { أسقى } فتعني ما فيه كلفة ، ولهذا ذكر في ماء الدنيا ، حيث يوفر الساقي إمكانية السقيا للمسقي ، ويترك له زمام المبادرة ولهذا أوردها في شراب الدنيا، فقال: ﴿ وَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ ﴾، فكلمة {أسقى } تعني إنزال الماء أو إطلاق الماء للناس ، سواء شربوا أو لم يشربوا ، فهو مبذول لهم في كل حين .

---

[١]) ينظر : معاني الأبنية . للسامرائي : ١٢٦– ١٢٨، ط٢، دار عمار ، الأردن ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م .

[٢])) ينظر: الكشاف: ٤ / ٥١٨. وروح المعاني: ١٠ / ١٥/ ١٩٤، وحاشية محي الدين زاده : ٨/ ٤٦٠، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥١٩.

[٣]) الكتاب لسيبويه : ٤ / ٥٩. وينظر : الإتقان في علوم القرآن : ٣/ ٢٦٣.

وجاءت { فرات } على صيغة { فعال } للدلالة على الصفة المشبهة الدالة على الثبات في الوصف ، فالماء الذي أسقانا الله إياه عذب في أصل تكوينه ، فالعذوبة صفة ثابتة فيه . والتنكير للتبعيض ، فإن في السماء ماء فراتًا بل هي معدنه ومصبه ، ويحتمل التفخيم لعظم المنة ([1]) . " وخص الفرات بالذكر ؛ لعذوبة مائه ، أو أنه أراد جنس الماء العذب فإنه موضوع الفرات في الأصل " ([2]) .

* * *

[1]) ينظر : حاشية محي الدين زاده : ٨/ ٤٦٠. واللباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ٧٦.

[2]) الأكسير في علم التفسير : ٣٠٠ .

المبحث الرابع (مآل المجرمين وما أعد لهم ومآل المتقين وما أعده الله لهم)

بعد أن ذكر الله تعالى بعض السنن والوقائع والأعمال الدالة على قدرته ، وكرر بعدها الوعيد الشديد للمكذبين بها ، وبما تدل عليه من البعث وأعمال الحساب والجزاء بين هنا نوع هذا الوعيد فقال تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ، فهذا النوع الخامس من وجوه تخويف الكفار ، وهو بيان كيفية عذابهم في الآخرة ([1]) ، وكأننا أمام لوحة تشخيصية حاضرة مشاهدة لمشهد هذا اليوم العظيم .

والخطاب في قوله : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ ﴾ موجه للمكذبين في يوم الحشر ، فهو مقول قول محذوف دلّ عليه صيغة الخطاب بالانطلاق دون وجود مخاطب يؤمر به ، أي: يقال لهم يومئذ : انطلقوا ، توبيخًا وتقريعًا وتبكيتًا([2]).

وعُبر بالصلة والموصول في قوله : ﴿ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ عن جهنم ؛ لما تضمنته الصلة من النداء على خطئهم وضلالهم ([3]) .

---

[1]) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٣.

[2]) ينظر : روح المعاني ١٠/ ١٥ / ١٩٤. وفتح القدير : ٤/ ٤٠٨.

[3]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٣٤.

وجملة ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ﴾ بدل اشتمال أو مطابق من جملة ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾، ولهذا ترك العطف؛ لكمال الاتصال، وأعيد الفعل {انطلقوا} ههنا على طريقة التكرير والبيان لقصد التوبيخ والتقريع أو الإهانة والدفع ولأجله أعيد الفعل ، وحرف الجر { إلى } ([1]).

وقرأ رويس عن يعقوب {انطلَقوا} بفتح اللام ([2]) على معنى الخبر ، كأنهم لما أمروا امتثلوا فانطلقوا إلى دخانها ، إذ لا يمكنهم التأخير ، إذ صاروا مضطرين منقادين إلى الانطلاق ([3]) ، فتكون الجملة استئنافية استئنافًا بيانيًا ؛ لشبه كمال الاتصال، ولذا لم يعطف بالفاء ليكون الاستئناف خبرًا آخر عن حالهم، كأنه قيل فما كان حالهم عند هذا الأمر الفظيع؟ فقيل: انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب([4]). " ولو أتى بالفاء فقيل: { فانطلقوا } بيانًا لشدة سرعتهم إلى الامتثال لكان له وجه وجيه ، وله نظائر كثيرة ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ فَأَلۡقَىٰهَا ٢٠ ﴾ { طه : ١٩- ٢٠} " ([5]).

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ ظِلّٖ ﴾ أي : إلى دخان جهنم ، كقوله : ﴿ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ٤٣ ﴾ { الواقعة : ٤٣} . " والظل نقيض الضحِّ ، وهو أعم من

---

[1]) ينظر : البحر المحيط : ٨/ ٣٩٧. و نظم الدرر : ٨ / ٢٨٧.

[2]) ينظر : النشر : ٢/ ٢٩٧. ونظم الدرر : ٨/ ٢٨٧.

[3]) ينظر : الكشاف ٤/ ٥١٩، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٨، والدر المصون ٦/ ٤٥٧، وتفسير أبي السعود ٦ / ٣٥٠.

[4])) ينظر : روح المعاني: ١٠/ ١٥ / ١٩٤،ونظم الدرر : ٨/ ٢٨٨، والتحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٣٥.

[5]) حاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٠.

الفيء ، وبعضهم يجعل الظل الفيء وقيل : الفيء بالعشي ، والظل بالغداة ، فالظل ما كان قبل الشمس ، والفيء ما فاء بعد ، وجمع الظل : أظلال وظلال وظلول " ([1]) .

والتعبير عنه بالظل تهكمًا بالمشركين ، وإمعانًا في تعذيبهم لشدة شوقهم إلى ظل يأوون إليه ، ففيه استعارة تهكمية لتشبيه ما يعلو من الدخان بالظل ، لتنزيل التضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم مثل قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ { التوبة : ٣٤} ، أي نزل تعذيب الدخان بترويح الظل تنزيلًا له منزلة الترويح بواسطة التهكم ، فشبه الدخان بالظل في إفادة الراحة ، فذكر لفظ المشبه به وأريد المشبه فيكون استعارة مصرحة تهكمية وفيه أيضًا إبداع لأن الظل لا يعلو ذا الظل ([2]) . وفي إفراد الظل إرغام لهم على التراص في مكان واحد ، وفي هذا زيادة في ألمهم وتعذيبهم ([3]) . ثم إنه تعالى وصف هذا الظل بصفات : الصفة الأولى ﴿ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴿٣٠﴾﴾ ، وفي انشعاب الدخان إلى ثلاث شعب إشارة إلى عظم الدخان ، فإن الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب ([4]) . وقد جسد صوت الشين انتشار هذا العذاب ومقداره من خلال صفة التفشي التي تدل في اللغة على

---

[1]) المفردات في غريب القرآن. للراغب الأصفهاني : ٣١٧، ط٣، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م . ولسان العرب : ١١ / ٤١٥.

[2])) ينظر : حاشية الشهاب : ٨/ ٢٩٨. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٠. و محاسن التأويل: ١٧/ ٦٠٢٦.

[3]) ينظر : التحرير والتنوير ١٢/ ٢٩ / ٤٣٥.

[4]) ينظر: الكشاف ٤/ ٥١٩، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٣٥، والتفسير الكبير ١٥/ ٥٨٣، وتفسير أبي السعود ٦/ ٣٥٠.

الانتشار والانبثاث ، ثم جاء الجهر في صوتي العين والباء القويين ليدل على شدة العذاب .

وخصوصية الثلاث ؛ لأن التكذيب كان بالله وكتبه ورسله ، وقال قوم المراد بقوله : { إلى ظل ذي ثلاث شعب } كون النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومحيطة بهم ([١]) ، وقيل غير ذلك ([٢]) . " وقال ابن عباس : يقال ذلك لعبدة الصليب ، فالمؤمنون في ظل الله عز وجل ، وهم في ظل معبودهم ، وهو الصليب له ثلاث شعب "([٣]) .

والصفة الثانية لذلك الظل قوله تعالى : ﴿ لَّا ظَلِيلٍ ﴾ ، والظليل : الدائم الظل قد دامت ظلالته ، اشتق له وصف من اسمه لإفادة كماله مبالغة فيما يراد منه مثل : ليل أليل ، وشعر شاعر ([٤]) ، ونفي كونه مظللًا عنه ، والظل لا يكون إلا مظللا على أن جعله ظلًا تهكم بهم ، فتسمية الدخان ظلًا يكون استهزاء بهم ، ويزداد به ألمهم وحرّهم وعذابهم ، ولأنه ربما يتوهم أن فيه راحة لهم فنفى هذا الاحتمال بذلك ، من قبيل الاحتراس ، وفيهم

---

[١])) ينظر : التفسير الكبير : ١٥ / ٥٨٣. و نظم الدرر ٨/ ٢٨٨. وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٩٤.

[٢])) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٣. والجامع لأحكام القرطبي : ١٠/ ١٣٥. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٠.

[٣])) البحر المحيط : ٨/ ٣٩٨. وينظر : روح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٩٤.

[٤])) ينظر : العين : ٥٨٧. ولسان العرب : ١١/ ٤١٥.

تعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين، والمعنى : أن ذلك الظل لا يمنع من حرّ الشمس ([١]) .

والصفة الثالثة قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ ﴾، فلما كان ما انتفى عنه غزارة الظل قد يكون فيه نفع ما ، قال ﴿ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴾ قال ابن فارس: "واللهب : هو ارتفاع لسان النار " ([٢])، وقال القرطبي: " واللهب : ما يعلو على النار إذا اضطرمت ، من أحمر وأصفر وأخضر"([٣]) .

" وعدّي الفعل { يغني } بـ{ من } لأنه أراد أن ابتداء الإغناء منه ، أو لتضمنه معنى يبعد ، والجملة في محل جر صفة ، أي: وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئًا" ([٤])؟

والكلمة تصف العذاب، وتبرز المناسبة بين أصوات الكلمة وما تدل عليه من حيث مناسبتها لأجزاء الحدث، فاللام القوية تقابل أول حدث التلهب، والهاء برخاوتها تقابل سريان اللهب، والباء القوية تقابل سيطرة اللهب وقوته" ([٥])،

---

[١]) ينظر: الكشاف ٤/ ٥١٩، والتفسير الكبير ١٥/ ٥٨٣،وروح المعاني١٥/ ١٩٤، وتفسير غرائب القرآن ٤٢٤/٦ ، وتفسير أبي السعود ٦/ ٣٥٠، وحاشية القونوي ١٩/ ٥٢١، ومحاسن التأويل ١٧/ ٦٠٢٦، وفتح القدير ٤/ ٤٠٩.

[٢]) مقاييس اللغة : ٥/ ٢١٤.

[٣]) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٣٥.

[٤]) تفسير غرائب القرآن: ٤٢٤/٦، وينظر : اللباب في علوم الكتاب: ٢٠/ ٧٨، وحاشية القونوي: ٥٢١/١٩.

[٥]) الإعجاز الصوتي في جزء عمّ : ٢٨١.

واشتهر أن هذه الآية تشير إلى قاعدة هندسية وهي أن الشكل المثلث لا ظل له لتحديد رؤوس زواياه ، فأمر الله هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى هذا الشكل تهكمًا به ([1]) .

و { لا } تتوسط بين الصفة والموصوف لإفادة النفي، وجيء بالصفة الأولى اسمًا وبالثانية فعلًا دلالة على نفي ثبوت هذه الصفة واستقرارها للظل ونفي التجدد والحدوث للإغناء من اللهب ([2]).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ يجوز أن يكون هذا من تمام ما يقال للمكذبين زيادة في التهويل والتبكيت والترويع ، ويجوز أن يكون كلامًا معترضًا في سياق وصف حال المشركين في جهنم .

والضمير في { إنها } عائد إلى جهنم ؛ لأن السياق لأجلها ، وتأكيد الخبر بـ {إنّ} للاهتمام لأنهم حينئذ لا يشكون في ذلك سواء رأوه أو أخبروا به ([3]) .

ونلمح في الفعل { ترمي } تتابع النيران العظيمة الموصوفة بالقصر الواحدة تلو الأخرى من خلال صفة التكرير الموجودة في صوت الراء الذي يتشكل

---

[1]) ينظر: بديع القرآن لابن أبي الأصبع تح/ حفني شرف، ٢٥٨، نهضة مصر، والإتقان في علوم القرآن ٣/ ٢٧٨.

[2])) ينظر : الكشاف: ٤/ ٥١٩، والدر المصون : ٦/ ٤٥٧، ونظم الدرر : ٨/ ٢٨٨، واللباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ٧٨، وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٩٤.

[3]) ينظر : الدر المصون : ٦ / ٤٥٧، والتحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩ / ٤٣٦.

عن طريق ضربات سريعة متتابعة لأسلة اللسان ([١]) ، وفيه دلالة على سرعة رمي هذه النيران ، فالراء من الأصوات الذلقية التي تنطق بسرعة لخفتها وسهولة خروجها من طرف اللسان ([٢]) . والشرر : ما تطاير من النار ، الواحدة شررة ([٣]) ، ولغة تميم شرار بالألف واحده شرارة ([٤]).

وسميت بذلك لاعتقاد الشر فيه ([٥]) . وهي اسم جنس جمعي لم يستعمل إلا في جمع ، فهو شامل لكثير من الجموع وقليلها ([٦]) ، وفي الآية تشبيه الشرر بشيئين:

الأول : بالقصر ، وفي تفسيره قولان : أحدهما : أن المراد منه البناء المسمى بالقصر العظيم . والثاني : أنه ليس المراد ذلك ، ثم على التقدير ففي التفسير وجوه : أحدها : أنها جمع قصْرة ساكنة الصاد كتمرة وتمر ، وجمرة وجمر ، وبدرة وبِدر ، وقصعة وقصع ، وحَلقة وحِلق ، قال المبرد : يقال للواحد من الحطب الجزل الغليظ قصْرة والجمع قصر . وقيل : هي أصول النخل والشجر العظام ([٧]) . قال الفراء : " ولست اشتهي ذلك لأنها

---

[١]) محاضرات في اللسانيات . فوزي حسن الشايب ، ١٧٧، وزارة الثقافة ، عمّان ، ١٩٩٩م .

[٢]) ينظر : النشر في القراءات العشر : ١/ ١٥٩.

[٣]) ينظر : مقاييس اللغة : ٣/ ١٨٠. ولسان العرب : ٤/ ٤٠١.

[٤]) ينظر : البحر المحيط : ٨/ ٣٩٥. والدر المصون : ٦/ ٤٥٨.

[٥]) ينظر : المفردات للراغب : ٢٦٠. وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٩٤.

[٦]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٢٨٨. وروح المعاني : ١٠/ ١٥ / ١٩٤.

[٧]) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٤. والجامع لحكام القرآن : ١٠/ ١٣٦. وتفسير أبي السعود : ٦/ ٣٥٠

لأنها مع آيات مخففة ، ومع أن الجمل إنما شبه بالقصر " ([١]) . وعلى كل حال فتشبيه الشرر بما ذكر جاء للتهويل والتعظيم والعِظم والارتفاع ([٢]) ، وإن كان القول الأول أظهر لقول الإمام الفراء ، ولقراءة ابن عباس وابن مقسم { بشرار } فإن الظاهر أنه جمع شررة كرقبة ورقاب ، ورحبة ورحاب فيدل على أن المشبه بالقصر الواحدة ([٣]) .

وهي على اختلاف مدلولها قد جاءت متناسبة من حيث قوة أصواتها التي جمعت { الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والإطباق ، والصفير ، والقلقلة } مع تلك النار العظيمة جدًا فضلًا عن أنها تكشف عن عظمها وفظاعتها وسوء منظرها .

والتشبيه الثاني: قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفۡرٞ ﴾،" قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص {جمالة} على وزن{فعالة} بغير ألف بعد اللام على التوحيد ، وقرأ الباقون بالألف على الجمع" ([٤]) فأما قراءة التوحيد {جمالةٌ} ففيها وجهان: أحدهما: أنها جمع صريح، والتاء لتأنيث الجمع ، يقولون: جمل وجمال وجمالة، نحو : ذكر وذكار وذكارة ، وحجر وحجارة. والثاني: أنه اسم جمع كالذكارة والحجارة قاله أبو البقاء ، والأول قول النحاة.

---

[١]) معاني القرآن للفراء : ٣/ ٢٢٥.

[٢]) ينظر : تأويل مشكل القرآن : ٣٢٠. ومدارك التنزيل : ٤/ ١٢٩٢. وتفسير غرائب القرآن : ٦/ ٤٢٥.

[٣]) ينظر : الكشاف ٤/ ٥١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٦، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٨، والدر المصون ٦/ ٤٥٨.

[٤]) الكشف عن وجوه القراءات السبع : ٢/ ٣٥٨، وينظر : النشر في القراءات العشر : ٢٩٧.

وأما قراءة { جمالاتٌ } بالجمع فيجوز أن يكون جمعًا لجمالة هذه ، وأن يكون جمعًا لجمال فيكون جمع الجمع ، كقولهم : رجالات ورجال ، وبيوتات وبيوت ([1]) . والتنوين للتكثير . والجمالات الصفر هي الإبل السود ، والعرب تسمي السود من الإبل صفرًا ، قال الأعشى :

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلادُهَا كَالزَّبِيبِ

أي : هن سود ، وإنما سميت السود من الإبل صفرًا؛ لأنه يشوب سوادها شيء من صفرة ، كما قيل لبيض الظباء : الأدم ، لأن بياضها تعلوه كدرة([2]).

وهنا شبه الشرر في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة بالجمالات الصفر ، وهذا تشبيه مركب في هيئة الحجم مع اللون والحركة([3]).

" وترك العطف تنبيهًا على استقلال كل من التشبيهين على حياله ، وتغيير أداة التشبيه له مدخل في ترك العطف ، واختير في الأول الكاف لأصالتها ،

---

[1])) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣/ ٢٢٥، ومعاني القرآن للزجاج : ٥/ ٢٠٩، معاني القرآن للأخفش : ٦١٦. وتفسير الثعالبي: ٥/ ٥٣٩، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢١.

[2])) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣/ ٢٢٥، وتأويل مشكل القرآن: ٣٢٠-٣٢١، وتفسير غريب القرآن : ٥٠٧. ومعاني القرآن للزجاج: ٥/ ٢٠٩، والجامع لأحكام القرآن: ١٣٦/١٠، وتفسير أبي السعود: ٦/ ٣٥٠، وروح المعاني: ١٠/ ١٥/ ١٩٥، وفتح القدير : ٤/ ٤١٠، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢١.

[3])) ينظر: أنوار التنزيل ٢/ ٥٥٨، وحاشية الشيخ محيي الدين زاده ٨/ ٤٦٢،ومدارك التنزيل ١٢٩٢/٤.

ولما أريد التنبيه على استقلال التشبيه الثاني عدل عنه إلى لفظ كأنه " ([1]). وقد روعي الترتيب في التشبيه رعاية لترتيب الوجود ، وأفيد أن القصور والجمال يشبه بعضها ببعض قال عنترة :

فَوَقَفْتُ فِيهَا نَاقَتِي وكَأَنَّهَا فَدَنٌ لِأَقْضِيَ حَاجَةَ الْمُتَلَوِّمِ

فالتشبيه الثاني بيان للتشبيه الأول على معنى أن التشبيه بالقصر كان المتبادر منه إلى فهم العظم فحسب ، فلما قيل { كأنه جمالة صفر } وهو قائم مقام التخصيص في القصر تكثر وجه الشبه كأنه قيل كأنه قصر من شأنه كذا وكذا . قال الزمخشري : " وشبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ، ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان وهي القصور " ([2]) .

قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٠﴾ . كلام مستأنف ، مسوق لبيان الحالة في ذلك اليوم ، وسمي يومًا لتمام أحكامه ، فإن كانت الإشارة على ظاهرها كان المشار إليه هو اليوم الحاضر ، وهو يوم الفصل ، فتكون الجملة من تمام ما يقال لهم في ذلك اليوم بعد قوله تعالى : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ فيكون في الانتقال التفات من الخطاب {انطلقوا} إلى

---

[1])) حاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٣.

[2])) الكشاف ٤/ ٥١٩، وينظر البحر المحيط ٨/ ٣٩٨، والدر المصون: ٦/ ٤٥٩. وروح المعاني ١٠/ ١٥/ ١٩٥.

الغيبة ، ونكتته الدلالة على الإعراض عنهم بعد أمرهم بالانطلاق إلى جهنم ، وفي هذا نهاية الإذلال والهوان ([1]).

وإن كانت الإشارة إلى المذكور في اللفظ وهو يوم الفصل المتحدث عنه بأن فيه الويل للمكذبين كان هذا الكلام موجهًا إلى الذين خوطبوا بالقرآن كلهم إنذارًا للمشركين منهم ، وإنعامًا على المؤمنين ، فكانت ضمائر الغيبة جارية على أصلها ، وكانت عائدة على المكذبين من قوله : {ويل يومئذ للمكذبين}، وتكون الجملة معترضة بين جملة { انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون } ، وجملة { هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين } ([2]) .

وأما سياق الخطاب في قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فلتكرير التوبيخ والتقريع المستفادين من قوله : ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾، ولم تعطف بالواو لأنها وقعت موقع التذييل للطرد . واسم الإشارة مستعمل للتقريب كأن اليوم حاضر مشهود .

فإن قيل : كيف يمكن الجمع بين قوله ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١ ﴾ {الزمر:٣١}؟

[1]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٢٨٩. والتحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩ / ٤٣٩.
[2]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩ / ٤٣٩.

فالجواب: " أن الله تعالى قد أخبر عنهم أنهم نطقوا في مواضع من هذا اليوم، وذلك باعتبار طول اليوم فيصح أن ينفي القول فيه في وقت ، ويثبت في وقت، أو نفي نطقهم بحجة تنفع وجعل نطقهم بما لا ينفع كلا نطق" ([1]).

قوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ ، العامة على عدم تسمية الفاعل ، قال البقاعي : " لما كانوا لا يقدرون على شيءٍ ما إلا بإذن الله ، وكان الموجع لهم عدم الإذن بني للمفعول قوله دلالة على عدم ناصر لهم أو فرج يأتيهم " ([2]).

وفي رفع { فيعتذرون } وجهان : أحدهما : أنه مستأنف ، أي : فهم يعتذرون . والثاني : أنه معطوف على { يؤذن } منخرط في سلك النفي ، والمعنى : ولا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له ، من غير أن يجعل الاعتذار مسببًا عن الإذن ، ولو نصب لكان مسببًا عنه لا محالة ([3]).

قال الرازي : " فإن قيل : لم لم يقل : { ولا يؤذن لهم فيعتذروا } ؟ كما قال : { لا يقضى عليهم فيموتوا }، فالجواب : الفاء ههنا للنسق فقط ، ولا يفيد كونه جزاء ألبتة ، وإنما رفع { يعتذرون } بالعطف لأنه لو نصب لكان ذلك يوهم أنهم ما يعتذرون لأنهم لم يؤذنوا في الاعتذار ، وذلك يوهم أن لهم فيه

---

[1]) الكشاف ٤/ ٥٢٠، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٩، وينظر التفسير الكبير ١٥/ ٥٨٧، وحاشية القونوي ١٩/ ٥٢٤.

[2]) نظم الدرر : ٨/ ٢٨٩.

[3]) ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٥/ ٧٧ . والكشاف : ٤/ ٥٢٠. والبحر المحيط : ٨/ ٣٩٩. ونظم الدرر : ٨/ ٢٨٩. وتفسير أبو السعود : ٦/ ٣٥٠.

عذرًا منعوا عن ذكره وهو غير جائز ([١]) . وقال البيضاوي : " عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقًا ، ولو جعله جوابًا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن فأوهم ذلك أن لهم عذرًا لكن لا يؤذن لهم فيه " ([٢])، وزعم الفراء أنه أختير فيه الرفع لتتفق الآيات، وصوّب النصب ([٣]) ، وتابعه الرازي ، والقرطبي ([٤]) .

وكرر اسم الإشارة في قوله ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ للمبالغة في تشخيص هذا اليوم وتحضيره في أذهان المشركين . وجملة ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴾ تقرير وبيان لقوله ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ﴾ ؛ لأنه لما كان هذا اليوم يوم فصل حكومات جميع المكلفين فلابد من إحضار جميع المكلفين ([٥]) .

والأمر بالكيد في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ ﴾ للتعجيز والجملة الشرطية { فكيدون } للتقريع والتوبيخ والتذكير بسوء صنيعهم في

---

[١]) التفسير الكبر : ١٥/ ٥٨٩.

[٢]) أنوار التنزيل : ٢/ ٥٥٩. وينظر : تفسير غرائب القرآن : ٦/ ٤٢٦. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٥.

[٣]) ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣/ ٢٢٦.

[٤]) ينظر : التفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٩. والجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ١٣٨. وفتح القدير : ٤/ ٤١٠.

[٥]) ينظر : الكشاف : ٤/ ٥٢٠. والتفسير الكبير : ١٥/ ٥٨٩. وأنوار التنزيل : ٢/ ٥٥٩

الدنيا ، والتسجيل عليهم بالعجز عن الكيد ، وهذا من أشد أنواع العذاب الروحاني والنفسي ([1]) .

ولما كان تحقق الشرط وهو القدرة على الكيد مستحيلًا عليهم يوم القيامة كان استعمال { إن } الشرطية الدالة في الغالب على المستحيل أو المستبعد وقوعه أو المشكك فيه ، وفي استعمالها هنا قمة المناسبة والتناسق مع مضمون الآية والمعنى الذي ترمي إليه .

" ولما كان الواقع بعد الفصل قرار كل في داره ، وكان قد بدأ بالمكذبين؛ لأن التحذير في السورة أعظم ففصلهم عن المصدقين ، فقال : { انطلقوا } إلى آخره ، ثنى بأضدادهم الفريق الناجي، فقال مؤكدًا لأجل تكذيب الكفار بتلك الدار"([2]): ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

قال الفخر الرازي مبينًا أوجه المناسبة والتناسق بين هذا المقطع وسابقه : " أنه تعالى لما بعث الكفار إلى ﴿ ظِلِّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴾ أعد في مقابلته للمؤمنين ثلاثة أنواع من النعمة أولها : قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ ﴾ كأنه قيل : ظلالهم ـ أي المشركين ـ ما كانت ظليلة ، وما كانت مغنية عن اللهب والعطش ، أما المتقون فظلالهم ظليلة ، وفيها عيون

---

[1]) ينظر : الكشاف ٤/ ٥٢٠، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٩، والتفسير الكبير ١٥/ ٥٩٠. ونظم الدرر ٨/ ٢٩٠، وأنوار التنزيل ٢/ ٥٥٩، وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٦، وفتح القدير ٤/ ٤١١، والتحرير والتنوير ١٢/ ٢٩ / ٤٤٢.

[2])) نظم الدرر : ٨/ ٢٩٠.

عذبة مغنية لهم عن العطش وحاجزة بينهم وبين اللهب ، ومعهم الفواكه التي يشتهونها ويتمنونها.

ولما قال للكفار: ﴿ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ قال للمتقين: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا ﴾ فإما أن يكون ذلك الإذن من جهة الله تعالى لا بواسطةٍ ، وما أعظمها ، أو من جهة الملائكة على وجه الإكرام " ([1]) .

والمراد بـ﴿ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الذين يتقون الشرك بالله ، قال الإمام الرازي : " وأقول هذا القول عندي هو الصحيح الذي لا معدل عنه ؛ لأن هذه السورة من أولها إلى آخرها مرتبة في تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم عليه، فهذه الآية يجب أن تكون مذكورة لهذا الغرض، وإلا لتفككت السورة في نظمها وترتيبها والنظم إنما يبقى لو كان هذا الوعد حاصلًا للمؤمنين بسبب إيمانه حتى يصير ذلك سببًا في الزجر عن الكفر ، فإما أن يقرن به وعد المؤمن بسبب طاعته ، فذلك غير لائق بهذا النظم والترتيب.. " ([2]).

والآية المذكورة كلام مستأنف مسوق لذكر أحوال المؤمنين على سبيل الإيجاز ، بعد أن ذكر أحوال الكافرين على سبيل الإطناب تنويهًا بشأنهم وتعريضًا لترغيب من المشركين الموجودين في الإقلاع عنه لينالوا كرامة المتقين ونعيمهم ، والتعريف في { المتقين } للاستغراق و { في } للظرفية ، وهي ظرفية حقيقية بالنسبة للظلال؛ لأن المستظل يكون مظروفًا في الظلوظرفية مجازية بالنسبة للعيون والفواكه تشبيهًا لكثرة ما حولهم من

---

[1]) التفسير الكبير : ١٥/ ٥٩٠-٥٩١.

[2]) التفسير الكبير : ١٥/ ٥٩٠. وينظر : فتح القدير : ٤/ ٤١١.

العيون والفواكه بإحاطة الظروف ، وفي وقوعه خبر لإن وتأكيد الحكم لكمال العناية به ([١]) .

وفي جمع الظلال دلالة على التنوع والكثرة ، بخلاف ظل دخان النار ذي الثلاث شعب . وبناؤها الصوتي يحاكي معناها ، فصوت الظاء المجهور المفخم المطبق يصور فخامة هذه الظلال وكثرتها وكثافتها ، ويؤازره صائت الكسرة القصير الذي يعد من أقوى الحركات ([٢]) ؛ ليبين قوة هذا الظل "لكثرة شجر الجنة وكثرة المستظلين بظلها ، ولأن لكل واحد منهم ظلًا يتمتع فيه هو ومن إليه ، وذلك أوقع في النعيم " ([٣]) . فضلًا عن أن صوت الظاء يوحي بالنضارة والأناقة والرقة ([٤]) بما يتوافق مع نضارة ورق الشجار الندية التي ترف على مشهد النعيم وتبرز رخاوتها واستمرار جريان الصوت فيها استمرار هذا الظل ، ويعضده المد في صوت الألف الذي يعطي امتدادًا واتساعًا مكانيًا .

وتضافر دلالة المد للحرف {في} الذي أفاد الظرفية الحقيقية بالنسبة للظلال؛ لأن المستظل يكون مظروفًا في الظل ، ولما كانت اللام من الأصوات الذلقية التي تعد من " أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، ولهذا أشبهت في هذه الناحية أصوات اللين الساكنة فهي جميعًا ليست شديدة ،أي: لا يسمع معها انفجار ، وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي

---

[١]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٢٩٠. وحاشية القونوي : ١٩/ ٥٢٦. والتحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٤٣.

[٢]) ينظر : خصائص الحروف العربية ومعانيها : ١٢٣.

[٣]) التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٤٣.

[٤]) ينظر : خصائص حروف العربية ومعانيها : ١٢٣.

تتميز به الأصوات الرخوة " ([1]) فقد أوحت بالهدوء الذي يغمر المكان والطمأنينة والفرح الخالص العميق في النفس.

" ولما ذكر العيون أتبعها ما ينشأ عنها فقال دالًا على أن عيشهم كله لذة ﴿وَفَوَٰكِهَ﴾ ولما كان يوجد في فواكه الدنيا الدون، قال دالًا على أن عيشهم كله لذة وأنه ليس هناك دون ﴿ مِمَّا يَشۡتَهُونَ﴾ أي بغاية الرغبة. قال منبهًا على أنه أريد بالفاكهة جميع المآكل ، وإنما عبر بها إعلامًا بأن كل أكل فيها تفكه ليس منه شيء لجلب نفع غير اللذة " ([2]) ، وقد حاكت كلمة { فواكه } أصواتها المهموسة الرخوة طبيعة هذه الثمار اللينة اللذيذة ، ونجد أن مخرج أصواتها تتنوع بين الشفوية الأسنانية والشفوية ، والطبقية { الحنكية } ، والحلقية { الحنجرية } ([3]) ، وكلها ترجع إلى مخرج الفم مما يتناسب مع أكل هذه الفاكهة والتلذذ بها .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَشۡتَهُونَ ﴾ يصور لنا صوت الشين بتفشيه وانتشاره سعة ما يتمنون ويريدون ، ويناسب الزمن المستغرق في المد العارض للسكون عند الوقوف على رأس الآية طول زمن الحدث ، " فالحدث الذي يحتاج إلى زمن أطول يقابل بصوت يستغرق نطقه زمنًا أطول ، والحدث الذي يحتاج إلى زمن قصير يقابل بصوت يستغرق نطقه زمنًا قصيرًا " ([4]).

---

[1])) الأصوات اللغوية . إبراهيم أنيس ، ٥٨، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر .

[2])) نظم الدرر : ٨/ ٢٩٠-٢٩١.

[3])) ينظر : المدخل إلى علم الأصوات : ٩٥.

[4])) إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة . لمحمد شملول ، ٦٠، دار السلام للطباعة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م .

قوله : ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ خطاب لهم في الآخرة على إضمار القول ، ويدل عليه ﴿ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ ، ذلك القول منصوب على الحال من الضمير المستكن في الظرف ، أي كائنين في ظلال مقولًا لهم ذلك على سبيل التكريم .

" قال أبو هاشم : هو أمر ، وأراد الله تعالى منهم الأكل والشرب لأن سرورهم يعظم بذلك إذا علموا أن الله تعالى أراده منهم جزاء على عملهم ، فكما يريد إجلالهم وإعظامهم بذلك ، فكذلك يريد نفس الأكل والشرب منهم ، وقال أبو علي : ليس بأمر وإنما يقوله على وجه الإكرام ، والأمر والنهي إنما يحصلان في زمان التكليف لا في الآخرة " ([1]) .

قوله : ﴿ هَنِيٓـَٔۢا ﴾ الهنيء كل ما لا يلحق فيه مشقة ولا تعب ولا يَعقُب وخامة أو نغصًا ، وأصله في الطعام، يقال: هنِيء الطعام فهو هنِيٌ بمعنى ساغ ([2]) .

قال سيبويه : "هي من الصفات التي أجريت مَجرى المصادر المدعوِّ بها في نصبها على الفعل غير المستعمل إظهاره ، واختزاله لدلالته عليه ، وانتصابه على فعل من غير لفظه ، كأنه ثبت له ما ذُكر له هنيئًا " ([3]) ومراد

---

[1]) اللباب في علوم الكتاب : ٢٠/ ٨٦.

[2]) ينظر : مفردات الراغب : ٥٢٤. ولسان العرب : ١/ ١٨٤-١٨٥.

[3]) الكتاب لسيبويه : ١/ ٣١٦.

سيبويه أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف تقديره أكلًا هنيئًا ، دلّ عليه فعل الأمر { كلوا } مبين للنوع لقصد الدعاء ([1]) .

والباء في قوله تعالى: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ للسببية ، أي لإفادة تسبب ما بعدها في وقوع متعلقه ، أي : كلوا واشربوا بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة، وذلك من إكرامهم بأن جعل ذلك الإنعام حقًا لهم([2]).

قوله: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ، الإشارة بقوله : {كذلك } إلى النعيم المشاهد والجملة فيها تأويلان محتملان : أولهما أن يكون الكلام متصلًا بالخطاب الأول ـ خطاب المتقين ـ وسيقت هذه الجملة زيادة في التكريم والامتنان والثناء عليهم. والمحسنون هم المتقون، و {أل} في {المحسنين} تفيد العموم ووضع الظاهر هنا موضع الضمير نحو نجزيكم أو نجزيهم ، مدحًا لهم بصفة الإحسان مع الإشعار بعلة الحكم ([3]).

والثاني : أن تكون الجملة موجهة إلى المكذبين الموجودين ، وسيقت للتعريض بأن حرمانهم من مثل ذلك النعيم هم الذين قضوا به على أنفسهم إذ أبو أن يكونوا من المحسنين وفيه من الندامة والحسرة ما لا يخفى . وعلى كلا التأويلين فالجملة الاسمية واقعة موقع التعليل لمضمون ما قبلها .

---

[1]) ينظر : الدر المصون : ٢/ ٣٠٧.

[2]) ينظر : فتح القدير : ٤/ ٤١١.

[3]) ينظر : روح المعاني : ١٠/ ١٥ / ١٩٧.

ومن أجل هذا الإشعار بهذا التعليل افتتحت بـ { إنّ } التي تفيد التعليل ولا تفيد التوكيد؛ لأن المقام يخلو من التردد في الخبر ، إذ الموقف يومئذ موقف الصدق والحقيقة، فلذلك كانت { إن } متمحضة لإفادة الاهتمام بالخبر ، فهي بذلك تغني عن فاء السببية فتفيد التعليل والربط ([1]).

قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ استئناف ناشئ عن قوله : ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ إذ يثير في نفوس المكذبين المخاطبين بهذه القوارع ما يكثره خطورة في نفوسهم من أنهم في هذه الدنيا في نعمة محققة وأن ما يوعدون به غير واقع فقيل لهم :﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا ﴾ ، والأمر في قوله ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا ﴾ مستعمل في الإمهال والإنذار والتهديد ، وجملة ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ تعليلية ، خبر مستعمل في التهديد والوعيد ، وتأكيد الخبر بـ { إن} لرد إنكارهم كونهم مجرمين ([2]) .

وتكررت آية الويل ثلاث مرات في هذا المقطع والذي قبله ، وجاءت كل مرة بعد وصف حالة من أحوال يوم القيامة لم يسبق ذكرها ؛ فجاءت في المرة الأولى عقب وصف مشهد من مشاهد النار يوم القيامة هو الشرر العظيم . وفي المرة الثانية جاءت بعد الإخبار عن مشهد من مشاهد الحشر وهو نفي النطق والقدرة على الاعتذار عن المشركين في ذلك اليوم ، وفي المرة الثالثة

---

[1]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢ / ٢٩ / ٤٤٤-٤٤٥.

[2]) ينظر : الكشاف: ٤/ ٥٢٠، والبحر المحيط: ٨/ ٣٩٩، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٣٩، وتفسير الثعالبي : ٥/ ٥٤٠. وروح المعاني : ١٠/ ١٥/ ١٩٧.

جاءت بعد الأمر التعجيزي للمشركين بالكيد والاحتيال للإفلات من العقاب . فكان مقتضِي التكرار في المرات الثلاث هو ورود الوعيد كل مرة بعد مشهد مختلف من مشاهد يوم القيامة .

قال العلوي : " وإنما كرر ذلك ؛ لأنه لما ذكر يوم القيامة وأنه كائن لا محالة ، ثم عدد هذه الأمور كلها ، وأنها كالدلالة عليه، وما من واحدة منها إلا ويعقبها بقوله: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ مبالغة في الإنكار عليهم، وتأكيدًا لوقوع السخط والغضب لأجل تكذيبهم ، وحذارًا عن الإتيان بمثل ما أتوا به من إنكار هذا اليوم العظيم ، وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكررة ، فإنها لم تتكرر إلا لمقصد عظيم في الرمز إلى ذلك المعنى الذي سيقت من أجله " ([1]).

ولما كان التقدير: فإنهم كانوا في دار العمل إذا قيل لهم آمنوا لا يؤمنون عطف عليه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ ﴾ ويجوز أن يكون عطفًا على جملة ﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ ﴾، على طريقة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كأنه قيل : هم أحقاء بأن يقال لهم { كلوا وتمتعوا } ، ثم علل ذلك بكونهم مجرمين وبكونهم إذا قيل لهم صلوا لا يصلون ، وعلى كلا الوجهين فهو من الإدماج لينعى عليهم مخالفتهم المسلمين في الأعمال الدالة على الإيمان الباطن ([2]).

---

[1])) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز للعلوي: ٢/ ٩٥. ط ١، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .

[2]) ينظر : نظم الدرر : ٨/ ٢٩٢. والتحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٤٦.

والتعبير بالركوع عن الصلاة مجاز مرسل علاقته الجزئية لأنه سمى الصلاة باسم جزء من أجزائها ، وهو الركوع ، وإنما خص الركوع بالذكر مع أن الصلاة تشتمل على أفعال كثيرة ؛ لأن العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود ([1]) .

والخاتمة بعد هذه الجولات والاستعراضات والوخزات والإيقاعات قال: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ أي: بعد هذا القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون إذ لم يؤمنوا به . والفاء فصيحة تنبئ عن شرط مقدر تقديره : إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي حديث بعده يؤمنون ، وقد دل على تعيين هذا المقدر ما تكرر في آيات { ويل يومئذ للمكذبين } . والاستفهام مستعمل في الإنكار التعجيبي من حالهم ، إذا لم يصدقوا بالقرآن مع وضوح حجته فلا يؤمنون بحديث غيره ([2]) . والتعبير بـ﴿ بَعْدَهُۥ ﴾ دون غيره للتنبيه على أنه لا حديث يساويه في الفضل أو يدانيه فضلًا أو يفوته ويعاليه فلا حديث أحق بالإيمان منه ، فالبعدية للتفاوت في الرتبة ([3]) . وجاء في مقدمة السورة التوكيد بالقسم على وقوع الساعة وتحقق موعدها ، وجاء في ختامها الإنكار على المكذبين بيوم الدين مع تواتر حججه ،

---

[1]) ينظر البحر المحيط : ٨/ ٣٩٩. والجامع لأحكام القرآن : ١٠/ ١٤٠. والتفسير الكبير: ١٥/ ٥٩٢. ونظم الدرر : ٨/ ٢٩٢.

[2]) ينظر : التحرير والتنوير : ١٢/ ٢٩/ ٤٤٧.

[3]) ينظر : روح المعاني : ١٠/ ١٥/

ووضوح دلائله وشواهده وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا وجه من وجوه المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها .

وختامًا قال سيد قطب: " إن السورة بذاتها، ببنائها التعبيري، وإيقاعها الموسيقي، ومشاهدها العنيفة، ولذعها الحاد ... إنها بذاتها حملة لا يثبت لها قلب، ولا يتماسك لها كيان، فسبحان الذي نزّل القرآن، وأودعه هذا السلطان"([1]) .

* * *

[1])) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٩٥.

الخاتمة

لقد كانت دراسة ممتعة ؛ تفيأت من خلالها في ظلال كتاب الله وآياته ، وكلما قطعت شوطًا أحسست بقصوري فيه ، وضآلة ما في يدي منه، كيف لا؟ وأنا بصحبة كتاب لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال ومع ذلك فقد جهدت في رفع الحجب ، وكشف الستر عن هذه الدراسة .

ولما كانت الأعمال بخواتيمها فإن من اللازم قبل أن أثني عنان القلم أن أذكر خاتمة لهذا البحث أعرض في أثنائها ملخصًا موجزًا له ، وأسجل في ثناياها أهم النتائج التي توصلت إليها ، وقد تمخضت هذه الدراسة عن نتائج أوجزها فيما يأتي :

- ركزت السورة الكريمة على موضوع العقيدة ، ودلائل القدرة والوحدانية ، وسائر الأمور الغيبية تركيزًا متتابعًا في أساليب متنوعة لا تكرار فيها ، وإنما هو توارد رائع يبث الموضوع من جهات متعددة ؛ قصد التوكيد والتقرير والترغيب والترهيب ، وهذا ما كانت تتطلبه بداية الدعوة إلى توحيد الله تعالى .
- إن فكرة النظم عربية محضة ولدت في أحضان القرآن الكريم ، ثم تطورت هذه الفكرة ؛ لتصبح نظرية متكاملة تعنى بإعجاز القرآن الكريم ، وبلاغته ، وقد بلغت ذروتها على يد الشيخ عبد القاهر الجرجاني .
- إن المنهج التطبيقي في البحث البلاغي الذي يعتمد التحليل والبحث عن الأسرار البلاغية الدقيقة أهم المناهج ، وأكثرها فائدة ، وأقربها إلى نفس المتلقي ، وهو المنهج الذي سار عليه سلف هذه الأمة ، وعرف عند أئمة البلاغة وروادها .

- توصل البحث إلى أن الوجه الأمثل في الإعجاز القرآني هو الوجه البلاغي لأنه يوجد في كل سور القرآن ، وفي كل آية من آياتها ، أما سائر الوجوه الأخرى التي ذكرها العلماء فلا تعدو – في نظر الدارس – إلا أن تكون من دلائل كون القرآن الكريم من عند الله .

- كشفت الدراسة البلاغية الغطاء عن ثراء السورة الكريمة من الناحية البلاغية ثراء عظيمًا حيث وجدت فيها كل أصناف البلاغة المتعددة بشكل مكثف ، وهذا يدل الناظر على عظم ما في كتاب الله من أسرار بلاغية متنوعة .

- اتسمت المفردة القرآنية في السورة بجمال الشكل والمضمون ، فجمعت بين قوة تأثير التصوير ، وبين عذوبة الصوت ، ونقصد بالعذوبة سهولة نطق مخارجها ، وشهادة السمع بسهولة أصواتها ، وهذه العذوبة لم تنتج عن اجتماع الأصوات الرخوة أو تباعد مخارج حروف المفردات ، إذ تبين لنا أن العبرة بصفات الحروف لا بمخارجها العضوية .

- التكرار في السورة ظاهرة إيجابية ، تؤدي دورًا موسيقيًا ودلاليًا في آن واحد ، حيث تضفي على السورة معاني وأبعادًا جديدة .

- يقوم الإحساس الجمالي في السورة على عنصر التشبيه والتصوير ، حيث يجعل القارئ كأنه يرى المشاهد والوقائع رأي العين ، ولذا كانت المفردة في السورة عنصرًا مهمًا في رسم الصورة وتشكيلها .

والله الموفق والمحمود والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم وبارك على رسولنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الإتقان في علوم القرآن . لجلال الدين السيوطي ، تح : محمد أبو الفضل ، د. ط ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. لمحمد بن محمد أبي السعود ، ط١، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٩هـ= ١٩٩٨م.
- إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة. لمحمد شملول، دار السلام للطباعة، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
- الإعجاز الصوتي في جزء عمّ. أناهيد الحريري ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ٢٠٠٦م
- الأصوات اللغوية. إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر .
- الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل ، ط ١، دار صفاء للنشر ، عمان ، ١٩٩٨م .
- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية. سمير شريف ، ط ١، دار وائل للنشر ، عمان ، ٢٠٠٢م .
- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس . ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ.
- الأكسير في علم التفسير لسليمان الطوفي تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.

- البحر المحيط لأبي حيان، تح: عادل أحمد وآخرون، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- بديع القرآن لابن أبي الأصبع ، تح : حفني محمد شرف، نهضة مصر.
- البرهان في تناسب سور القرآن. لأحمد بن إبراهيم بن الزبير، تح : سعيد جمعة الفلاح ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، ١٤٢٨هـ.
- البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد الزركشي. تح : زكي محمد أبو سريع ، ط ١، دار الحضارة ، الرياض ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تح : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت . د . ت .
- البيان في إعراب غريب القرآن للأنباري ، ضبطه : بركات يوسف هبود ، شركة دار الارقم للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .
- البيان في عد آي القرآن . لأبي عمرو الداني ، تح : غانم قدوري الحمد ، ط١ ، مركز المخطوطات والوثائق ، الكويت ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م .
- تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة ، شرحه ونشره : السيد أحمد صقر ، ط ٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
- التبيان في إعراب القرآن . لأبي عبد الله العكبري ، ط٢، تح : علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

- التبيان في أيمان القرآن . لابن قيم الجوزية ، تح : عبد الله سالم البطاطي ، ط١ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٩هـ
- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان . لشرف الدين حسين الطيبي ، تح : هادي عطية الهلالي ، ط١، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
- التحرير والتنوير . لمحمد الطاهر ابن عاشور . دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس.
- التعبير القرآني . لفاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، الأردن ، ٢٠٠٧م .
- التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم . لعبد العظيم المطعني ، ط٣، مكتبة وهبة ، ١٤٣٢هـ = ٢٠١٢م .
- التفسير البياني للقران الكريم . عائشة عبد الرحمن ، ط٧، دار المعارف ، القاهرة
- تفسير الثعالبي ، المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن . للإمام الثعالبي ، تح : علي محمد معوض وآخرون ، ط١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . للحسن بن محمد النيسابوري ، ط / ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م .
- تفسير غريب القرآن. لابن قتيبة ، تح : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
- تفسير القرآن العظيم . لإسماعيل بن كثير ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر ، د . ت .

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . لفخر الدين الرازي ، تح : سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن. للشريف الرضي ، ط١، عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م .
- تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي ، تح : عبد القادر عطا ، ط / ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.
- تهذيب اللغة. لمحمد بن أحمد الأزهري ، تح : محمد عوض مرعب ، ط ١، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠١م .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . لمحمد بن جرير الطبري ، تح : أحمد عبد الرزاق وآخرون ، ط/ ٥، دار السلام ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م .
- الجامع لأحكام القرآن . لمحمد بن أحمد القرطبي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣١هـ = ١٩٩٤م .
- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. د. ت.
- حاشية القونوي على تفسير البيضاوي . لعصام الدين إسماعيل الحنفي ، تح : عبد الله محمود ، ط ١، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .
- حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. لعبد العظيم المطعني ، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م .

- خصائص الحروف العربية ومعانيها. حسن عباس ، مطبعة اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٨م .
- خصائص الحروف العربية ومعانيها في المعجم الوسيط – دراسة وصفية تحليلية عن المفردات ، علية منفردة ، جامعة مولانا مالك إبراهيم ، إندونيسيا ، ٢٠١٠م .
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . لشهاب الدين السمين الحلبي ، تح : علي محمد معوض وآخرون ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م
- دلائل النبوة . لأبي بكر أحمد بين الحسين البيهقي ، تخ : د . عبد المعطي قلعجي ، ط / ٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
- الدلالة الصوتية في القرآن الكريم . لمزعل اللامي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٧م .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها لمكي بن أبي طالب ، تح : أحمد حسن فرحات ، ط ٣، دار عمار ، عمّان .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- الصوت اللغوي في القرآن . محمد حسين الصغير ، دار المؤرخ ، بيروت (د . ت)
- الطراز المتضمن لسرار البلاغة وحقائق الإعجاز. للعلوي، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٣هـ .

- علم الأصوات . كمال بشر ، دار غريب للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل . لمحمود بن حمزة الكرماني ، تح : شمران العجلي ، ٢/ ١٢٩١، دار الثقافة ، جدة .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . لمحمد بن علي الشوكاني ، ط ٤، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب لشرف الدين الحسين الطيبي ، ط/ ١، جائزة دبي الدولية للقرآن ، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م .
- في ظلال القرآن . لسيد قطب ، ط ٩ ، دار الشرق ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م
- الكتاب لسيبويه ، تح: عبد السلام هارون ، ط٣، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- كتاب العين . للخليل بن أحمد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د . ت .
- كتاب مشكل إعراب القرآن . لمكي بن أبي طالب ، تح : ياسين السواس ، ط ٢ ، دار المأمون للتراث ، دمشق.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل . للزمخشري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . لمكي بن أبي طالب ، تح : محي الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٤م .

- اللباب في علوم الكتاب. لأبي حفص عمر بن عادل ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط/ ١، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
- لسان العرب . لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .
- مجاز القرآن . لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، تعليق : محمد فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م .
- محاسن التأويل . لمحمد جمال الدين القاسمي ، ط١، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٦هـ .
- محاضرات في اللسانيات . فوزي حسن الشايب ، وزارة الثقافة ، عمّان ، ١٩٩٩م
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . للقاضي ابن عطية الأندلسي ، تح : عبد السلام عبد الشافي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل . للنسفي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، د . ت .
- المدخل إلى علم أصوات العربية . غانم قدوري الحمد ، دار عمار ، عمان ، ٢٠٠٤م
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور . لأبي الحسن إبراهيم البقاعي . تح : عبد السميع محمد ، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧.
- معاني الأبنية لفاضل السامرائي ط٢، دار عمار ، الأردن ، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

- معاني القرآن . لأبي زكريا الفراء ، ط٣، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج، تح : عبد الجليل شلبي، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن محمد السكاكي، تح : عبد الحميد هنداوي ، ط/ ٢، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ٢٠١١م.
- المفردات في غريب القرآن . للراغب الأصفهاني ، ط٣، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .
- مقاييس اللغة لابن فارس ، تح : عبد السلام هارون، دار الفكر.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل . لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .
- من بلاغة القرآن . لأحمد بدوي ، نهضة مصر ، ٢٠٠٥م .
- الميزان في تفسير القرآن . للطباطبائي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- النشر في القراءات العشر. لمحمد بن الجزري ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . لبرهان الدين إبراهيم البقاعي ، ط ٣، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م .
- النظم الفني في القرآن . عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب ومطبعتها .

- نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ، لعبد الحميد الفراهي ، ط١، الدائرة الحميدية ، الهند ، ٢٠٠٨م .
- النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن الرماني، طُبع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تح : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، ط ٤، دار المعارف، القاهرة ، د . ت .

فهرس المحتوى

الموضوع
العنوان باللغة العربية
الملخص باللغة العربية
العنوان باللغة الإنجليزية
الملخص باللغة الإنجليزية
المقدمة
أهمية البحث
أسباب اختيار البحث
خطة البحث
منهج البحث
التمهيد
أولًا : مكيتها – آياتها – تاريخ نزولها
ثانيًا : فضل السورة وتسميتها
ثالثًا : مناسبة السورة لما قبلها
رابعًا : مناسبة السورة لما بعدها
خامسًا : موضوع السورة ومنهجها في عرض معانيها ومقاصدها
الدراسة التحليلية
المبحث الأول – دراسة المطلع
المبحث الثاني – الانقلاب الكوني السماوي والأرضي
المبحث الثالث – دلائل قدرة الله الباهرة
المبحث الرابع – مآل المجرمين وما أُعدّ لهم – ومآل المتقين وما أعده الله

لهم
الخاتمة – والنتائج
فهرس المصادر والمراجع
فهرس المحتوى